الفصل الخامس

الفوضى فى العصور الحديثة

مشروع الفوضى العالمى

مقدمة

مع فشل المشروع الصليبى على المشرق الإسلامى و انطفاء فورة الاكتساح المغولى مع نهايات القرن الرابع عشر، بدا أن العالم قد دخل فى حالة هدوء و انكفاء قارى (انغلقت كل قارة على نفسها) لمدة اقتربت من قرن من الزمان.

فطوال فترة القرن الخامس عشر تقريبا هدأت فورة الصدام العالمى بين المشرق الإسلامى من ناحية و الغرب المسيحى و المغول من ناحية أخرى، فالمشرق الإسلامى الذى يحتوى على أقاليم القلب الأربعة (مصر و الشام و الحجاز و العراق) توزع بين قوتين رئيسيتين هم دولة المماليك و التى بسطت سيطرتها على مصر و أجزاء كبيرة من الشام و الحجاز، بينما ظهرت

obeikandi.com

فى بلاد فارس دولة الشاه الصفويين الّذين ورثوا الدولة التيمورية الرافضية، ومدوا سلطانهم حتى بلاد العراق مكملين فيه عملية فرض الرافضية على أهل السنة هناك.

وفى أقاليم آسيا الوسطى والهند توزعت القوى بين خانات التتار والّذين نجحوا فى إنشاء سلطنة الهند المغولية وبسطوها حتى أفغانستان وامتدوا داخل الهند ليسيطروا على أجزاء كبيرة من شبه القارة الهندية (وإن ظلوا فى حالة نزاع دائم مع ممالك الهندوس فى الشرق والجنوب الشرقى).

وفى الشرق الأقصى بدأت الصين تدخل فى مرحلة اضمحلال شديد ونزاعات أهلية عقب انهيار سلالة اليوان التترية وواكب ذلك ظهور اليابان كقوة ناشئة جديدة على الساحة وإن كانت هى الأخرى فى حالة تصارع بين حكام الإقطاعيات المختلفة الساعين لتوحيد اليابان تحت زعامتهم (والتى تسببت تلك الصراعات فى نشأة عصر شوجونات الساموراى فى بداية القرن السادس عشر).

وفى آسيا الصغرى كانت دولة العثمانيين الوليدة تتعافى من صدمة معركة أنقرة العنيفة ضد تيمورلنك والتى تسببت فى إلحاق أذى بالغ فى صفوف العثمانيين وأوقفت فتوحاتهم التوسعية لما يقرب من عقدين من الزمان (1402-1422م) ثم بدأت رويدًا رويدًا فى التقدم لمحاصرة الدولة البيزنطية الضعيفة (والتى كانت فى الواقع أصبحت لا تمتلك إلا القسطنطينية و

بضع مقاطعات حولها) ونجح العثمانيون فى التوغل قليلا فى البلقان و رومانيا وتوسيع نطاقات ملكهم (ولكنها لم تعدو عن كونها معارك صغيرة مقارنة بالعصور الوسطى).

أما فى أوروبا الغربية فقد نمت قوتان متجاورتان كنتيجة أساسية لفشل المشروع الصليبى وهاتان القوتان يمكن تصنيفهما على النحو التالى:

-قوى الفوضى الصراعية التقليدية: والتى تمثلت فى أمراء وملوك ونبلاء البيوت الأوروبية المختلفة، بالإضافة لبابوات الكنيسة الكاثوليكية و الّذين تحولوا بالكامل إلى النزاع الداخلى بغرض بسط السيطرة على أكبر قدر ممكن من الأراضى الأوروبية متبعين فى ذلك مبدأ المناداة بالحق الشرعى فى وراثة الأرض انطلاقا من علاقات القرابة والنسب والمصاهرة القديمة التى ربطت الكثير من البيوت الملكية الأوروبية بعضها ببعض (و نضع على سبيل المثال مناداة عدد من ملوك إنجلترا النورمانديين بأحقيتهم فى عرش فرنسا والعكس بالنسبة لملوك فرنسا الّذين طمعوا للحصول على حصة من الأراضى الإنجليزية والذى كان ذلك أحد أسباب قيام حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا) وكذلك النزاع بين فرنسا وألمانيا (والتى مثلت الإمبراطورية الرومانية المقدسة) على عدد من المقاطعات سواء فى الأراضى المنخفضة كبلجيكا أو الأراضى الإيطالية، والتى أدخلت السلطة البابوية كشريك فى الحرب نظرًا لحالة العداء المستمر بين بابوات

روما و الإمبراطورية الرومانية المقدسة (فالبابوات كسائر آسياد هذا العصر كانوا طامعين فى مجد إمبراطورى لهم شخصيًا يجمع بين السلطة الدينية للبابا و الدنيوية للإمبراطور فيكونوا بذلك قد حققوا السلطة المطلقة و يالجنون الطمع البشرى).

كما كان هناك الصراع بين الأسبان و العرب المسلمين و الذى كانت نتيجته لصالح الأسبان طوال القرن الخامس عشر و الذى انتهى مع نهاية هذا القرن بسقوط كامل أرض الأندلس فى أيدى الأسبان و البرتغاليين.

-و مع كل هذه الصراعات العسكرية بين النبلاء و الأمراء كان هناك متغيرات شديدة تحدث فى تركيبة المجتمع الأوروبى، فقد ولد الاحتكاك بين الصليبيين و المسلمين فى كل من الشرق و الأندلس (المتطوران حضاريا بشكل كبير عن أوروبا الوسيطة) شغفًا شديدًا لدى كثير من الأوروبيين لتطوير أنفسهم فى مجالات العلوم و الثقافة، وكانت السياسات البابوية المنحرفة مع تغول سلطاتها على كل من الملوك و العوام و إساءة استخدامها (خاصة مع تأسيسها لمحاكم التفتيش فى نهاية القرن الثالث عشر) قد بدأت فى إثارة حنق الكثيرين من الطرفين و مع نمو و تشجيع الملوك و الأمراء فى المقاطعات الأوروبية المختلفة لمناحى التطور المختلفة بدأت دعوات مختلفة تسرى فى أوروبا الغربية منادية ليس بالإصلاح فقط، ولكن بالتمرد على كل أشكال السلطة القديمة وكان هذا هو بداية ظهور

القوة الثانية (كان الصدام الإسلامى-الصليبى أشبه بصدام لكرتى بلياردو فبينما تنتقل طاقة الحركة من كرة إلى أخرى تتوقف الأولى بينما تبدأ الثانية فى التحرك وهذا ما حدث إذ أن العالم الإسلامى بدأ بالتوقف عن الحركة والإنتاج بينما بدأت أوروبا بالنهوض والحركة ممسكة بشعلة التقدم العلمى).

-قوى الفوضى المنظمة الممنهجة: ذكرنا سابقا أن القوى المشاركة فى المشروع الصليبى قد ساءها فشل المشروع على يد المسلمين، فكان لابد من البحث عن كباش محرقة للتضحية بها أمام العامة المنهكين من كثرة الضرائب المفروضة عليهم لتمويل الحملات فكان النصيب الأكبر من نصيب المراكز المالية اليهودية التى كانت أحد أكبر المستفيدين من تمويل الحملات نتيجة قروضها الربوية، كما كانت أحد أكثر المشجعين عليها نتيجة التغلغل اليهودى فى الكنيسة الرومانية.

وكذلك كانت تنظيمات الفروسية السرية التى أثرت من الحملات الصليبية وكونت ضياعًا وأملاكًا نافست الملوك والأمراء وطوروا أنظمة تجارية ونقدية مشابهة لتلك التى قامت بها المراكز المالية اليهودية، بل و أصبح لها جزرا خاصة فى البحر المتوسط يشنون منها حملات قرصنة على سواحل المسلمين، فأصبحوا بذلك مكونين مراكز ثقل وقوة فى أوروبا نازعت الملوك والأمراء على سلطانهم.

وبالتأكيد كان هناك مسلمى الأندلس الّذين أصبحوا فريسة سهلة للانتقام خاصة مع ضعفهم وهزائمهم المتكررة.

كانت النتيجة حملة الإجلاء الكبير لليهود من شتى أنحاء أوروبا وتدمير أكبر منظمات الفروسية (فرسان المعبد)، وإنشاء محاكم التفتيش لملاحقة كل من تثبت عليه علاقة باليهودية أو الإسلام أو أى من أفكارهم أو محاولة النقل من علومهم ودروسهم وراح ضحيتها آلاف من سكان أوروبا، وتم محاصرة الباقين من اليهود فى مجمعات خاصة يحرسها فرسان مسيحيون، كما فر الباقون من فرسان المعبد إلى أسبانيا وأسكتلندا و مالطا (حيث انضموا فى الأخيرة تحت راية الإسبتارية مؤسسين فرسان مالطا).

وفى تلك المجتمعات المنفية المحاصرة بدأت فكرة خاصة جدا بالنمو وهى فكرة تحويل الشقاقات الفكرية والصراعات الأوروبية المختلفة إلى مشروع فوضى منظم عالمى

تصبح فيه السيطرة على مفاتيح العالم فى يد هذه الفئة المحاصرة و تؤسس لمبدأ حكومة عالمية واحدة للأرض تدور فى فلكها كل القوى الأخرى، وتتطلع كافة الأمم على وجه الأرض للتعامل معها (مبدأ الأممية العالمية).

<u>ملامح مشروع الفوضى العالمى:</u>

تأسس مشروع الفوضى العالمى على هدف واحد تخدمه مجموعة من القواعد الصارمة المنظمة لهذا المشروع.

أما الهدف: فهو خلق حكومة طفيلية عالمية تسعى لبسط السيطرة على الأرض اقتصاديًا وفكريًا واجتماعيًا وعسكريًا فى نظام فوضوى صدامى مستمر(فكما ذكرنا سابقا أن الفوضى صورة استثنائية من صور النظام وهو ما يخدع كثير من البشر عن أهداف هذا المشروع) يضمن إضعاف و إنهاك كافة الأعراق البشرية، ويحول المكاسب المادية الناتجة عن هذا الصدام إلى خزائن أعضاء تلك الحكومة من خلال مجموعة من الخطط المعقدة طويلة الأمد.

وتبلورت هذه الخطط على هيئة قواعد ممنهجة سار عليها أعضاء هذه الحكومة إلى اليوم وهى كالآتى:

-لتتبعنا كنوز الأرض: هذه القاعدة هى القاعدة المهيمنة فى المشروع وهى حجر الزاوية الذى قام عليه مشروع الفوضى، فالهدف الأساسى هو السيطرة على الثروات ومن أجل السيطرة على الثروات لابد من السيطرة على ممرات التجارة العالمية والنظام المالى النقدى والإطاحة برؤوس المال الثابتة المتمثلة فى الإقطاع وتحويلها إلى قطع فسيفسائية يسهل إعادة جمعها وتشكيلها تبعا للصورة التى ترتضيها حكومة العالم، واحتكار كل نفيس من المعادن أو البضائع وعدم السماح بشيوع تداوله فى أيدى العوام

حتى تظل قيمته مرتفعة، كما يجب العمل على البحث الدائم عن مناطق جديدة للكنوز المدفونة و اتخاذ السبق فى ذلك حتى لا تقع فى أيدى أعداء الحكومات.

-الأخلاق و الدين قلعة خطرة يجب السيطرة عليها: مثلت القيم الأخلاقية و الرسالات السماوية بالذات خطرًا شديدًا يهدد مشروع الفوضى العالمى بالدمار، فالمنظومة الدينية السليمة و المعايير الأخلاقية الثابتة تحث على منطق التعايش السلمى للبشر و المشاركة المعقولة فى كافة موارد و ثروات الأرض (قد يكون هناك غنى و فقير لا مانع فى ذلك، ولكن لا يحق للغنى أن يمتص دم الفقير و يجب أن يكون هناك تعاون و تكافل تام بينهما من دون تغول و جشع من غنى على فقير و لا سطو و حقد من الفقير على الغنى) و هذا الحصن الأخلاقى يعوق مبادئ الجشع و الخديعة و الغدر التى كانت متأصلة فى نفوس زعماء مشروع الفوضى العالمى و الّذين لم يكن لديهم مانع على الإطلاق من انتزاع الذهب من بين أحشاء و دماء العوام لو اقتضى الأمر فهم يرون أنفسهم الأحق بحكم المنظومة الأرضية.

و لأن أعضاء الحكومة العالمية كانوا يعلمون ما للدين من أثر على العامة، فقد رأوا أن تدميره بشكل كامل لن يكون ذى فائدة كبيرة لهم و الأفضل هو إخضاعه للسيطرة و إعادة التشكيل (منطق اللوحة الفسيفسائية السابقة) تبعا لمنظورهم المشوه و لن يتأتى ذلك إلا عن طريق تقويض

السلطة الدينية الممثلة فى قادة الديانات و إفسادها و تنفير العامة منها فتكون بذلك الخطوة الأولى لخروج العوام من سلطة الدين السليم إما باتباع المعيار المشوه للدين على مذهب السلطة الدينية الفاسدة أو تركه بالكلية و التوجه إلى الإلحاد و الإنكار الكلى للدين، و أما من يتبقى مقاومًا و محتفظًا بالمنهج السليم فيكون أقلية تسهل قمعها من أتباع الطائفتين الأوليين أو من أعضاء الجماعات الدينية المنافسة، وكلما زادت قابلية السلطة الدينية للإفساد زادت مهمة تقويضها و هدمها أيسر و أسهل.

و أما المنظومة الأخلاقية بشكل عام فقد عمد أعضاء الحكومة الطفيلية على حصارها و عزلها فى نطاق الشعائر الدينية فقط، و التحقير من شأن استخدامها فى مناطق المعاملات البشرية المختلفة، كما عمدوا على التأكيد على أن الأخلاق موروث دينى و بما أن الرموز الدينية فاسدة فإن المعيار الأخلاقى الممثل للدين هو معيار يجب التمرد عليه و نبذه باعتباره غير مساير لروح الإنسان الحرة (مبدأ مهاجمة المنهج انطلاقا من فساد القائم على تطبيقه) فإن لم تستطع التمرد عليه فاحصره فى أضيق نطاق و هو نطاق الشعائر (مبدأ لتدع ما لله لله و ما لقيصر لقيصر) فكان هذا بذرة من بذور المشروع العلمانى الشامل.

-بين العقل و الهوى شعرة لننتزعها: و إكمالا لمبدأ مهاجمة منظومة الأخلاق و الدين عمد زعماء الحكومة العالمية على اللعب على الشعرة الرفيعة بين

المنطق العقلى الاستنباطى و بين الأهواء النفسية التى تظهر كقناعات من التجارب العقلية التى خلقتها عقول عصر النهضة، فمع الاكتشافات الجغرافية الجديدة و ظهور أدلة علمية مخالفة

لشروحات رموز السلطة الدينية الكنسية (كمثال لمبدأ كروية الأرض و دوران الأرض حول الشمس، و التفسير العلمى لوباء الطاعون الأسود الذى قضى على ثلث سكان أوروبا نتيجة أسلوب الإدارة الكنسى السيئ لأزمة المرضى و التفسير العلمى لظاهرة المذنبات و نظرية تطور الكائنات الحية) عمد زعماء الحكومة العالمية على الترويج لمبادرات مشبوهة تروج لمنطق عبادة العقل و العلم مع كل قفزة علمية جديدة للإنسان مع استخدام هذه النظريات العلمية للدخول فى فلسفات جدلية حول حقيقة الوجود الإلهى، و ما إذا كان هناك إله حقا أو لا و التى ظهرت معها مبادئ الفلسفة الوجودية (و أسئلتها عن الجبر و الاختيار، و الغاية من وجود الإنسان و حقيقة وجود الإله)، كما استخدموا النظريات العلمية المتعلقة بالإنسان و أصله البيولوجى و التطور بين الكائنات فى التفسير لدونية أفعال الإنسان و خطاياه و دمويته التى قد تكون مبالغ فيها (و ذلك لتسويغ عوامل الحروب و الإبادات الفتاكة لأعراق بشرية كاملة) و هم بذلك دخلوا فى تناقضيات كبرى، فهم تارة يرون الإنسان الخارق صاحب العقل المميز المبدع و هم تارة أخرى يرونه الحيوان المفترس ذو الطباع الدونية المنحطة، و كان هذا مقدمة لمجموعة من الفلسفات الهوائية كما سيأتى ذكره لاحقا.

والواقع أن أسلاف زعماء الحكومة العالمية وربما عن غير قصد قد قطعوا فى المبدأين السابقين شوطًا كبيرًا فى العصور القديمة والوسطى حين نجحوا فى إفساد الشريعة التوراتية وتضليل الكنيسة المسيحية وشق صف الأمة الإسلامية عبر المؤامرات التى ذكرناها سابقا.

-انظر للأمور من خلال عيوننا واسمع من خلال آذاننا: اعتمد زعماء الحكومة العالمية من خلال هذا المبدأ على السيطرة على الجموع من العامة من خلال نشر الشائعات المحبوكة بمنتهى الدقة والتى تمر كرسائل فى مسرحيات أو كتب أو أفلام أو نشر أخبار يلتبس فيها الصدق بالكذب و الإصرار على صدق الأكاذيب بتصديرها مرة تلو مرة حتى يعتادها المتلقى و يصدقها (وكأنهم اعتمدوا على المثل الشعبى الدوى على الآذان أمر وأعظم تأثيرًا من السحر). وكان هذا سببًا فى ابتداعهم لطرق مختلفة لنشر رسائلهم النفسية الخاصة التى تطورت لتصبح الآلات الإعلامية الضخمة التى نراها اليوم.

-إن لم تجد عدوا فاصنع عدوا: رسخت هذه القاعدة لمنطقية وحتمية الصدامات البشرية المتعاقبة منذ عصر النهضة وحتى وقتنا الحالى، فللسيطرة على الموارد والثروات اعتمد زعماء الحكومة العالمية على الاندماج فى المعسكرات المختلفة بُغية تأجيج الصراع بينهم ورفعه من مجرد خلاف إلى صدام قاتل حرصوا فى أغلب الأوقات على إطالة أمده

لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإنهاك لجميع القوى وضمان حاجتهم المستمرة للأموال والقروض التى تمتلكها الحكومة العالمية من خلال مصارفها المختلفة، وتضمن بذلك تدفقات طويلة الأجل من المواد الخام النفيسة على خزائنها لعقود طويلة من الزمن، (اتباع مبدأ من باع نفسه للشيطان فالمتصارعين باعوا أنفسهم لحكومة العالم الطفيلية فى مقابل ثرواتهم ودمائهم)، كما أن إيجاد عدو بشكل مستمر يضمن للحكومة الفوضوية البقاء فى دائرة الأمان بعيدًا عن أنظار المتصارعين الّذين لو فطنوا لها لتكررت مآسيهم القديمة مع الرومان أو البابليين أو غيرهم ممن ضربوا قوميتهم المتحدة فهم غير متحدين فى أرض، ولكنهم متحدين بشبكة إتصالاتهم القوية الخفية.

-عرش واحد يحكم كل العروش وخاتم واحد يهيمن على كل الخواتم: بناء على هذه القاعدة عمدت الحكومة الطفيلية على إخضاع كافة البيوت الملكية والإمبراطوريات الموجودة على الساحة لسلطانها عن طريق الاضطرابات الداخلية أو الحروب الخارجية واستخدمت لذلك كل وسائل الإثارة من فضائح وفلسفات متطرفة، وبرز هنا استخدام عامل الخطأ بشكل كبير لإثارة الجماهير تجاه السلطات الحاكمة اعتمادًا على فساد السلطة.

هذا على صعيد الحكم العالمى أما على صعيد التنظيم الداخلى فقد برز مبدأ تراتبية النخب داخل الحكومة الطفيلية العالمية، فعلى قمة الهرم التنظيمى تربعت النخبة الخاصة للحكومة والتى تألفت من مجموعات خاصة من الأسر اليهودية (ومن المؤكد أن السبب الرئيسى فى تربعهم على القمة هو خبرتهم الطويلة فى مجالات النجاة من الاضطهاد و القدرة الحربائية وفهمهم لأساسيات لعبة المؤامرة وقدرتهم العالية على التنازل عن الأخلاقيات بالإضافة لمهاراتهم الاستثنائية فى مجالات الإتصالات المالية والنظام النقدى العالمى) وتحت هذه النخبة الخاصة تشكلت مجموعتان من أتباع المجموعة الأولى تألفت من تنظيمات الفرسان الصليبية السرية القديمة والتى كانت لها خبرة تجارية ومالية على درجة عالية من الكفاءة أيضا كما أن خلفياتهم الحربية وأحقادهم القديمة على كل من المسيحية والإسلام إضافة إلى نظامهم القديم المبنى على الكاباله اليهودية والعقائد الباطنية الرافضية جعل منهم أتباعًا أقوياءً ومخلصين للنخبة الخاصة ومنهم تألفت النخبة العامة (أو الدرجة الأقل منزلة للحكومة الطفيلية وكأنهم برتبة الوزراء).

وأما المجموعة الثانية: فتشكلت من عموم جموع اليهود من طوائف يهود غرب أوروبا ويهود الخزر (الأشكناز) أو يهود الأندلس (السفارديم) ولعبت دور ضابط الإتصال فى كثير من الأوقات بين حلقات الحكومة العالمية الطفيلية، كما شكل الكثير منهم ممن كانوا حتى على خلاف مع المنطق

الطفيلى لمشروع الفوضى العالمية –فاليهود كما ذكرنا سابقا كانت بينهم نزاعات داخلية قوية منذ القدم توارثها الكثير منهم تبعًا لتأثرهم بالبيئات المحيطة- نواة جيدة جدًا لكباش المحرقة عن طريق التخلص من جماعات منهم فى حال تعرض المشروع للخطر وبعد إرضاء الجموع وهدوء فورة الانتقام يأتى دور الحكومة العالمية للظهور بمنطق الضحية والتباكى على إخوانهم القتلى والمطالبة بحقوقهم ووضع شروط قاسية على المعتدين عليهم ما يحقق للنخب الخاصة والعامة مزيدًا من المكاسب.

وتحت النخبة العامة ظهرت مجموعات الأتباع والتى تباينت قربًا وبعدًا من سادة التنظيم من النخب تبعًا لكفاءتها وقدرتها على التوافق مع مبادئ سادة العالم المُنتظرين.

كما ظهر مصطلح العوام من الناس وهم الجموع الكثيرة من البشر التى تتحرك تبعًا لغلبة الأطراف المتصارعة وهم بمثابة القرابين على مذابح الثروات.

ثم كان أخيرًا على النقيض من هذا التنظيم وتنوعاته القلة الباقية من البشر من المدافعين عن القيم والمعايير السليمة والتى تحاول الوقوف أمام المد العالى للحكومة الطفيلية.

وبعد وضع القواعد العامة لمشروع الفوضى العالمى انتظمت الكرة الأرضية كلوحة شطرنج عملاقة، وتم الإعلان عن بدء أطول مباراة شطرنج فى التاريخ، مباراة بدأت منذ خمسة قرون ولم تنتهِ حتى الآن.

لنبحر بالزمن فى أكثر مباريات الشطرنج خبثًا ودهاءً ودموية فى التاريخ.

****

العالم منذ عام(1492-1796م)

عملية جدارية الفسيفساء

فى هذه المرحلة بدأت نهضة تنظيم الجماعات اليهودية ومن تعاونوا معهم من التنظيمات السرية المسيحية تحت وطأة الاضطهادات الكنسية الشديدة والعداء من ملوك أوروبا لكلا الطرفين الذى كان على الرغم من شدته لم يؤثر تأثيرًا عميقًا إلا فى الدرجات الأدنى من الجماعات اليهودية، أما النخب الخاصة فقد ظلت تحتفظ بمراكز قوة لها داخل العديد من القصور الملكية الأوروبية وخاصة فى البلاط الملكى الأسبانى والبرتغالى والنمساوى، كما هاجر منهم مجموعات كبيرة إلى الدولة العثمانية وبلاد الإسلام طمعًا فى جو التسامح الدينى (وهو التسامح الذى دومًا ما اعتبروه مدخلهم لتدمير أمة الإسلام من دون أن يتم اكتشافهم).

وفى داخل هذه القصور بدأ الكثير من نخب الجماعات اليهودية و تنظيمات الفرسان للتخطيط لاستعادة ثرواتهم ونفوذهم داخل أوروبا، و كانت أولى خطوات مشروع الفوضى العالمى والتى عمدوا فيها على تفكيك الصورة العالمية القائمة وإعادة تشكيلها كجدارية فسيفساء عملاقة وفقًا لقواعدهم الخاصة.

انقسمت عملية جدارية الفسيفساء إلى ثلاث مراحل أساسية كالتالى:

-تفكيك النظام الاقتصادى القائم وإعادة تشكيله وفقًا لقواعد الحكومة العالمية.

-تفكيك السلطة الدينية القائمة ونزع قوتها فى أوروبا تمهيدًا لتحييدها بشكل كامل، وفى نفس الوقت زيادة جرعة الكراهية بين الإسلام و المسيحية اعتمادًا على الصدامات بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية القوية فى ذلك الوقت.

-إخضاع الملكيات القوية الموجودة فى أوروبا وإعادة تكوينها تبعًا لمقتضيات الحاجة أوتدميرها بشكل كامل فى حالة العجز عن إخضاعها واستبدالها بأنظمة تدور فى فلك الحكومة العالمية.

وكانت أولى مراحل هذه العملية هى التفكيك الاقتصادى والذى كان أساس براعة الجماعات الطفيلية العالمية.

عملية إعادة بناء الفسيفساء الاقتصادية (عصر الكشوفات الجغرافية).

كان النظام الاقتصادى فى العالم القديم قائم على ثلاثة محاور أساسية هى التى شكلت ملامحه و ملامح الدول التى اعتمدت عليه حتى بدايات القرن السادس عشر.

هذه الملامح الثلاثة هى التجارة محليًا و إقليميًا و عالميًا و الإقطاعيات الزراعية و نظام النقد القائم على المقايضة السلعية أولا ثم مقايضة السلع مقابل قيمة معينة من المعادن النفيسة (الذهب و الفضة على وجه الخصوص).

كان كلا من النظامين الزراعى و التجارى متواجدان بأهمية متفاوتة فى كل من الغرب المسيحى و المشرق و الإسلامى على حد سواء، و حتى القرن الحادى عشر كانت الإقطاعية الزراعية تحتل مرتبة الصدارة فى أوروبا المسيحية و كانت هى العماد الذى بُنيت عليه حكومات الممالك الأوروبية (كلما زادت حجم إقطاعية الأمير أو الملك زادت سلطاته و أتباعه) بينما كانت التجارة متركزة فى مراكز معينة على السواحل التى تحتك مع البلاد الإسلامية.

أما فى المشرق الإسلامى فقد احتلت التجارة مكانة الصدارة (خاصة أن أغلب حكام دولة الخلافة كانوا ذوى إرث و خلفيات تجارية) و كان هذا سببًا

رئيسيًا فى انتشار التجار المسلمين على طول بلاد الإسلام من الأندلس و حتى الصين و تأسيسهم لمراكز تجارية قوية سيطرت على تدفق منابع المواد الخام و التوابل و المنتجات المختلفة من بلاد المسلمين إلى بلاد أوروبا المستهلكة بكثرة لهذه المواد و التى تدفع فيها أغلى الأثمان و كانت الإقطاعات الزراعية على عظمتها فى بلاد الإسلام إلا أنها كانت مجرد عامل مساعد لتوفير المواد الأولية اللازمة للتجارة فقد كانت التجارة و ممراتها تحت سيطرة الدول الإسلامية المختلفة (كان أشهر طريقين للتجارة هو طريق البحر المتوسط الذى يمر بمصر كمركز تفريغ و نقل إلى البحر الأحمر و منها إلى جنوب الهند، و طريق الحرير البادئ بالصين و شمال الهند و منتهيًا إلى الشام على البحر المتوسط ثم إلى أوروبا).

و مع تدفق كل تلك الثروات على المشرق الإسلامى فقد كان من الطبيعى احتواءه على كميات ضخمة من المعادن النفيسة من الذهب و الفضة نتيجة سيطرته على مراكز استخراج المواد الأولية.

و لقد كان المشروع الصليبى فى القرن الثانى عشر أكبر محاولة فى العصور الوسطى لانتزاع السيطرة التجارية من أيدى التجار المسلمين عن طريق السيطرة على أحد الطريقين الكبيرين و هو طريق الحرير فى الشام و هو ما أدى فى تلك الفترة التى لاقت بعض النجاح إلى نمو كبير فى قوة طبقة التجار الأوروبيين (و التى كان عمادها من يهود إيطاليا و فرنسا و ألمانيا و تنظيمات

فرسان المعبد الّذين أنشأوا العديد من الوكالات التجارية فى بلاد أوروبا المختلفة و مع تعاظم ثرواتهم بدأوا بتعظيم ملكيتهم للأراضى الزراعية فى أوروبا).

و مع فشل المشروع الصليبى و الانكفاء الذى حدث لليهود مع الإجلاء الكبير ولفرسان المعبد مع أحكام محاكم التفتيش بتدمير تنظيمهم بدأ زعماء الحكومة العالمية فى البحث عن طريق جديد لتفكيك السيطرة الاقتصادية الإسلامية على طرق التجارة ولتفكيك السيطرة الأوروبية على الإقطاعات الزراعية فى أوروبا.

تمثلت خطة المشروع الفوضوى العالمى أولا فى السيطرة على النظام التجارى العالمى، وذلك لتحويل دفة الثروات من يد التجار المسلمين إلى يد الحكومة العالمية ولكن كيف؟

<u>الإجابة تمثلت فى جملتين:</u>

-لابد من السيطرة على منابع الهند و الصين التجارية (الهند و الصين كلمتا السر فى التجارة العالمية).

-لابد من استكشاف أراضى جديدة و استخراج ثرواتها.

وكان السؤال ثانية، كيف تتم هذه السيطرة؟

و جاءت الإجابة من قلب الأندلس الجريح.

فمع سيطرة القشتاليين و حلفائهم من دوقيات أراغون و ليون و البرتغال على أراضى الأندلس و نجاحهم فى انتزاع من أيدى المسلمين بدأ المملكتين الأسبانية و البرتغالية فى السعى لتأمين أراضيها من أى هجمات قد تأتى من المغرب العربى الذى كان طالما حليفًا تقليديًا للأندلس و ساهم فى صمودها طوال ثمانية قرون.

و عليه بدأت أسبانيا و البرتغال فى شن إغارات على أراضى المغرب العربى، و استطاعوا بالفعل من انتزاع مدينة سبتة من أيدى المغاربة عام 1415م و هى كانت إحدى الموانئ المغربية المهمة على البحر المتوسط.

و لكن تعرض سبتة للهجوم من القبائل المسلمة دفع البرتغاليين إلى محاولة استكشاف الساحل الإفريقى الأطلسى بُغية جمع معلومات عن مدى سيطرة المسلمين فى أفريقيا فكان ذلك بداية مرحلة الكشوفات الجغرافية مدفوعة بالمغامرين الأوروبيين.

و لأن هذه الرحلات تحتاج إلى التمويل المادى فقد كان التجار اليهود و غيرهم من تجار التنظيمات السرية من أوائل من سارعوا لتمويل هذه الرحلات ليكونوا فى طليعة الجانين لأرباح هذه الحملات.

ويورد هنري فورد فى كتابه اليهودى العالمى كيف تحايل ثلاثة من يهود البلاط الأسبانى على ملكة أراغون إيزابيلا من أجل تمويل حملة كريستوفر كولومبوس لاستكشاف المحيط الأطلسى وصولا للهند من الغرب واعدين إياها بكميات ضخمة من ذهب الأنديز (ويبدو أن اليهود قد جمعوا تلك المعلومات من البلاط الإسلامى الأندلسى وهو ما يطرح وبشدة فكرة أن المسلمين الأندلسيين قد نجحوا فى الوصول إلى الأراضى الأمريكية قبل كريستوفر كولومبوس بفترة طويلة) كما أن الرجل الذى يعزو له فضل البدء فى حركة التوسعات الأوروبية ما وراء البحار هو الأمير هنرى الملاح أحد أبناء ملك البرتغال والذى كان قائدًا أعلى لتنظيم فرسان المسيح (الاسم الجديد لمنظمة فرسان المعبد بعد فرارهم للبرتغال).

ولكن المهم فى الموضوع أن توسع حركة الكشوفات الجغرافية الأوروبية أنشأت طريقين تجاريين جديدين عن الطرق العربية القديمة، وكان هذان الطريقان هما رأس الرجاء الصالح المؤدى للهند وطريق الأطلسى الذى أدى لاكتشاف الأمريكتين.

ومع اكتشاف بارثوليميو دياز لطريق رأس الرجاء الصالح عام 1488م ونجاح فاسكو دا جاما فى الوصول للهند عن طريقه عام 1498 تعرضت السيطرة التجارية الإسلامية لضربة عنيفة إذ أن البرتغاليين نجحوا فى تأسيس حصون ومراكز تجارية جديدة على طول الساحل الإفريقى وصولًا إلى الهند

وجعلوا من هذه الحصون مراكز إغارات مستمرة على طرق التجارة البحرية الإسلامية فى المحيط الهندى، وأضعفوا معها العائدات المالية الضخمة التى كانت تصب فى خزائن دولة المماليك وبدأ تحويلها إلى خزائن الإمبراطورية البرتغالية الجديدة (وبالتأكيد التجار الّذين مولوا تلك الحملات من الجماعات اليهودية وفرسان المعبد الّذين غيروا اسمهم فى البرتغال إلى فرسان المسيح والتى ذكرنا سابقا أن قائدها كان الأمير هنرى الملاح).

أما طريق أمريكا والذى نجح كولومبوس فى تأسيسه بالوصول لكوبا وما يُعرف اليوم بجزر الهند الغربية (كانت الهند هى الهاجس الأكبر لأوروبا بغرض السيطرة على تجارة التوابل

الضخمة) فقد نجح التجار اليهود الّذين سافروا مع كولومبوس فى 3 أغسطس 1492م (وذلك بعد يوم واحد من تنفيذ قرار أسبانيا بطرد 300000 يهوديًا من أسبانيا فى 2 أغسطس عام 1492م وهو إن دل على شيء فيدل على حجم الاستخبارات اليهودية داخل البلاط الأسبانى) فى تأسيس عدد من المراكز التجارية التى اعتمدت على زراعة قصب السكر و احتكار تجارة التبغ وهى أنواع جديدة من البضائع التى لاقت رواجًا كبيرًا فى أوروبا (كان أول مؤسس لتجارة وصناعة التبغ هو أحد يهود البلاط الأسبانى واسمه لويس دى توريس).

ولم يمر نصف القرن السادس عشر حتى كانت المراكز المالية للحكومة العالمية قد انتشرت على طول الساحل الإفريقى الغنى بالذهب وفى قلب القارتين الأمريكيتين ووصولًا إلى الهند والصين واليابان إضافة إلى المراكز المالية التى أنشأها اليهود فى إسطنبول العثمانية وعلى سواحل البحر المتوسط وبدأت تحصل من السلطان العثمانى على امتيازات تجارية و اجتماعية خاصة جعلتها أشبه بدول خاصة داخل الولايات العثمانية الإسلامية، وبدأت تدعمها أساطيل بحرية قوية من أسبانيا والبرتغال التى كونت الأرمادا الشهيرة (أسطول البحار الأسبانى البرتغالى) وأصبحت معها الأندلس الأسبانية إحدى أكبر القوى العظمى فى عصر النهضة.

وبعد اكتمال المرحلة الأولى بدأت المرحلة الثانية فى تفكيك الإقطاعيات الزراعية الأوروبية والتى كانت عماد قوة النبلاء الأوروبيين.

ولقد كانت المحاولة الأولى لتفكيك الإقطاعيات الزراعية هى التى كان المرابين اليهود يقومون بها من الاستيلاء على هذه الأراضى نظير صكوك فوائد الديون الربوية والتى كانت تضعهم فى موضع صدام مباشر مع أصحاب هذه الأراضى، والتى كانت تنتهى فى كثير من الأحيان بهجمات ضد اليهود على اعتبار أنهم أقلية عددية (مثال على ذلك ما حدث خلال فترة الإجلاء الكبير وطرد اليهود وملاحقتهم من خلال محاكم التفتيش الرومانية بإيعاز من الملوك والأمراء بهدف الهروب من ديون المرابين اليهود.

ولأن الحاجة أم الاختراع فقد لجأ اليهود وأعوانهم إلى حيلة ماكرة للإيقاع بأصحاب الأملاك والأصول الثابتة المتمثلة فى الإقطاعات الكبيرة، فكان تأسيس بورصة الأوراق المالية.

كانت بدايات البورصة فى النصف الثانى من القرن السادس عشر عندما دعت الحاجة التجار المحليين فى بلجيكا على الاتقاء لعرض بضائعهم و سلعهم وتبادل الخبرات وربما توفير رؤوس أموال لتوسعات تجارية جديدة.

ومن الحاجة لرؤوس أموال، وبدلا من إظهار الأموال فى صورة قروض مباشرة تم تحويل الأملاك والأصول الثابتة لأصول اسمية على هيئة إيصالات، يمثل كل إيصال جزءًا من الملكية الثابتة لصاحب رأس المال (و هذا الإيصال يكون بمثابة سهم فى رأس المال أو سند دين) يُتيح لصاحب رأس المال طرح جزء من هذه الأصول فى الملتقى التجارى وتسييلها ماليًا و كلما زاد مركزه الاقتصادى قوة زادت قيمة أسهمه وسنداته وذلك بهدف تسهيل حركة الأموال بين التجار.

وكان أول ملتقى لهذا السوق الجديد فى فندق فى مدينة بروج فى بلجيكا مملوك لعائلة فان دربورصن البلجيكية (والتى كان عميدها جيرارد بورصن قائد وسام فى تنظيم فرسان المعبد فى منطقة الفلاندرز).

و مع نجاح هذا الملتقى الذى سهل على كثير من التجار بيع و شراء بضاعتهم و توفير السيولة المالية المطلوبة لهم بدأت هذه الأسواق بالانتشار سريعا فى هولندا و ألمانيا و فرنسا و إنجلترا و غيرها من العواصم الأوروبية المهمة كطعم سهل يجذب إليه كافة أصحاب الممتلكات.

مع تعاظم شأن هذه الأسواق المالية أصبح الاعتماد بشكل كبير عليها فى تحديد قيمة الأصول الثابتة للتجار و أصحاب الإقطاعات الّذين يبيعون محاصيلهم و سلعهم من خلالها، و أصبح أى خبر سلبى -حتى لو كان كاذبًا- عن أحد ملاك هذه الأصول كفيلًا بجعل حملة الأسهم يسارعون فى البيع حفاظا على أموالهم؛ ما فتح الباب أمام حكومة العالم الخفية للتلاعب بهذه السوق عن طريق الشائعات المحبوكة عبر شبكاتهم المالية الواسعة، و اللعب على نفسيات و أطماع المساهمين فى تحقيق أرباح سريعة و سهلة ما أسهم فى إفلاس العديد من المنظومات التجارية و الإقطاعات الزراعية الأوروبية و تحويل ملكياتها إما لنخبة الحكومة العالمية أو لأتباعهم و رسم صورة جديدة لطبقات جديدة من الأثرياء الأوروبيين الخاضعين لسلطة الحكومة الطفيلية العالمية (أحد أبلغ الأمثلة على التلاعبات فى تلك الفترة ما عُرف جنون التيوليب ما بين عامى 1635م -1637م و الذى أدى لإفلاس قطاعات كبيرة من المزارع الهولندية و التجار فى أوروبا).

ومع لعبة البورصة الماكرة طور المرابون اليهودُ أسلوبهم الربوى من هيئة فردية إلى هيئة مؤسسات -التى هى البنوك المعاصرة- والتى اعتمدت على قدراتها المجمعة من أجل الدخول فى البورصة وشراء أصول كل من يتعرض للإفلاس فيها وتحويلها إلى ملكية البنك، إضافة إلى استخدام المراكز المالية فى المستعمرات الجديدة من أجل بسط السيطرة على أكبر قدر ممكن من الذهب والفضة وتحويله لخزائن تلك البنوك: إما بالطريق المباشر أو عن طريق كسب ثقة العملاء من التجار المشتركين فى البورصات المختلفة والّذين يحتاجون للسيولة للمضاربات فى البورصة عن طريق منحهم إيصالات خاصة مقابل غطائهم النقدى من الذهب والفضة (و الذى كان يُعتبر أول ظهور للأوراق النقدية فى أوروبا). ومع سهولة التعامل بهذه الإيصالات النقدية، وزيادة الثقة بين التاجر والبنك أصبحت البنوك -خاصة التى عظم شأنها فى أوروبا- متحكمة فى الغطاءات الذهبية والمعادن النفيسة المختلفة، وأصبحت طباعتها لأوراق البنكنوت أمرًا طبيعيًا و قروضها الربوية أمرًا أكثر من المعتاد، والتى تدعمت بخروج الكثير من الأنظمة الأوروبية والعوام فى أوروبا من ربقة السيطرة البابوية خاصة فيما يتعلق بالتعامل بالربا، وعليه تأسست وانتشرت العديد من البنوك التى كان قوامها من أعضاء الجماعات اليهودية وأتباعهم والّذين أسسوا بنوكًا فى فرنسا وإنجلترا وألمانيا وهولندا وبلجيكا، ونمت هذه البنوك بشكل قوى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

و مع تمكن الحكومة الطيلية العالمية من تحقيق تقدم ملموس فى عملية الفسيفساء الاقتصادية بدأت الحاجة للدخول فى عملية إعادة تشكيل النظام الدينى وفقا للمنظومة الفوضوية العالمية.

عملية إعادة بناء الفسيفساء الكنسية (حركة الإصلاح الدينى).

تزامن مع النجاح الاقتصادى الذى حققه أعضاء الحكومة العالمية؛ تخوفًا و قلقًا من جانبهم على هذا النجاح، فتكوين الثروات لم يكن يوما مشكلة عند أعضاء هذه الحكومة؛ فَهُم أشبه بمغناطيس جاذب للكنوز، و لكن الحفاظ عليها من هجمات الأمم كانت هى النقطة المؤرقة لهم. خاصة أن صعودهم الاقتصادى دائمًا ما يكون مصحوبًا بمشاكل الأمم الأخرى: إما نتيجة سلوكهم الاقتصادى الجشع، أو بقيام جماعات منهم بإثارة الشغب ظنًا منهم أن قوتهم المالية ستحميهم.

و لقد كانت الصراعات التاريخية التى نشأت بين اليهود و القوى الأخرى ماثلة أمام أعين أعضاء الحكومة العالمية مع بداية مشروعهم الضخم، و كان أمامهم فى هذه المرحلة قوتان كبيرتان لابد من تفتيتهما إلى وحدات أصغر بهدف إخضاعهما للسيطرة العالمية الجديدة و فى نفس الوقت توفير الحماية للثروات التى نجحوا فى تكوينها هذه المرة، هاتان القوتان كانتا الكنيسة المسيحية و قوتها فى أوروبا و الإسلام و قوته فى المشرق.

وتقرر البدء بالكنيسة الرومانية لعدة عوامل أهمها:

-التقارب التاريخى بين المسيحية و اليهودية (ولا نقصد بذلك التقارب الود أو الاتفاق المذهبى و إنما نقصد بذلك خلفية أن كتب العهد القديم التوراتية ظلت دائمًا جزءًا من عوامل التشريع المسيحى حتى مع كره المسيحيين لليهود وهو ما خلق أرضية مشتركة إلى حد ما بين الفريقين).

-التمركز الجغرافى لنخب الجماعات اليهودية فى بلدان مختلفة من أوروبا مع جماعات كبيرة من اليهود (خاصة مع نزوح أعداد كبيرة من يهود الخزر لأوروبا عقب انهيار مملكتهم على يد الروس) وهو ما جعلهم على دراية كبيرة بالشأن الأوروبى و خفاياه و نقاط ضعفه و قوته خاصة مع الصدمات التى تعرضوا لها على يد الكنيسة و ملوك أوروبا.

-التغلغل اليهودى القديم فى الكنيسة الرومانية منذ عهد بولس الرسول و فى خلال فترة الحملات الصليبية عن طريق البابوات اليهود جعل من الكنيسة الرومانية هدفًا مغريًا للسيطرة منذ العصور الوسطى فالسيطرة عليها يؤمن حماية قوية لأعضاء الحكومة العالمية من العوام ويوفر قوة بشرية كبيرة يمكن استخدامها حين يتطلب حل النزاع بالقوة.

-و أخيرًا فإن ميل السلطة الكنسية فى أوروبا للانغماس فى الفساد و الملذات و الترف لأقصى حد مع أطماعها الإمبراطورية التوسعية على حساب ملوك

و أمراء أوروبا و دعمها لبعضهم دون البعض الآخر، إضافة إلى النزعات الفلسفية الجديدة و الاكتشافات العلمية المناقضة لشروح البابوات للكتاب المقدس و عجز الكنيسة أو تقاعسها عن إدارة أزمات إنسانية ضخمة مثل الطاعون الأسود الذى ضرب أوروبا و راح ضحيته ما يقرب من ثلث القارة الأوروبية أحدث حالة ضخمة من الحراك فى أوروبا ضد الفساد و الجهل و السخط على الموروثات و من يمثلوها وكانت الكنيسة صاحبة النصيب الأكبر.

اعتمدت الحكومة العالمية على ثلاثة محاور للعمل على تقويض السلطة البابوية و شق صفها للأبد و هذه المحاور هى:

-الفساد المالى و الأخلاقى لرعاة الكنيسة و الذى استشرى بشكل ضخم للغاية خاصة عقب المشروع الصليبى و المكاسب التى عادت على الكنيسة و المدن البابوية منه، سواء من ضرائب أو هبات من إمارات الشرق فى وقتها أو من صكوك الغفران التى ابتدعوها بدعوى غفران الذنوب فى مقابل مادى، و أصبحت إتاوة دورية تُفرض على المدن و المقاطعات الأوروبية من غير أى مراعاة لأى ظروف اقتصادية لهذه المدن و هو ما زاد السخط على الكنيسة من العديد من المواطنين فى عدة مقاطعات أوروبية و على رأسها ألمانيا و هولندا و سويسرا و إنجلترا (و الأخيرة لها تاريخ حافل بالعداء للكنيسة الرومانية منذ عهد النورمانديين و السيطرة الدانماركية على

إنجلترا وبعدها المكانى نسبيًا عن أوروبا ووضعها كجزيرة كان سببًا فى إيوائها عددًا من أشد المعارضين للسلطة الكنسية)، وكانت هذه الانتهاكات المشينة من أناسًا يُفترض بهم الزهد والتقوى والبعد عن المتاع الدنيوى سببًا رئيسيًا فى ارتفاع العديد من الأصوات المطالبة بالإصلاح الهيكلى الكنسى وإسقاط سلطة البابا الدنيوية التى أساء استغلالها بداية من القرن العاشر الميلادى والتى نجحت الكنيسة فى قمعها أو احتوائها، حتى كانت ثورة مارتن لوثر الدينية البروتستانتية عام 1517م.

-التقارب الباباوى الفرنسى وهو التقارب الذى كان ملحوظًا للغاية منذ بداية تأسيس الدولة الفرنجية الأولى فى القرن الثامن الميلادى، وظل على نهجه حتى بلغ أوجه فى فترة الإعداد للحروب الصليبية حيث إن الدعوة خرجت من مجمع كليرمونت فى فرنسا وقد استمر هذا التقارب مع ملكية فرنسا طوال القرون التالية على حساب كل من الملكيات الألمانية والإنجليزية وحتى الأسبانية، وقد ازداد هذا التباعد خاصة مع إنجلترا نتيجة المساعدات البابوية التى منحتها كنيسة روما لملوك فرنسا خلال حرب المائة عام، وهو ما عزز الانفصال الكنسى بين كنائس إنجلترا والكنيسة الرومانية، وسهل عملية انتشار المذهب البروتوستانتى فيها فيما بعد، كما أن نجاح فرنسا فى تأسيس بابوية فى أفينيون وإقناعها البابوات فى وقتها على الإقامة فيها (منذ عام 1309-1376م) أنشأ نوعًا من الحرب

الأهلية البابوية، وسهل ظهور تصدعات فى السلطة البابوية وتسهيل أمر الثورة الدينية.

-أخيرًا فإن الصدامات الفكرية التى نشأت بين مفكرى وفلاسفة وعلماء و عصر النهضة (الذين تمركزوا فى أكاديميات أوروبا المختلفة) وبين الكنيسة الكاثوليكية والتى أثبتوا فيها على الكنيسة عدد من الأخطاء وكان رد الكنيسة فيها قآسيا عليهم (مثما حدث مع جاليليو ومايكل أنجلو) فإن ذلك عزز من البيئة المعادية لسلطان الكنيسة وخلق نوع من التمهيد للانشقاق العظيم داخل كنيسة روما.

<u>ثورة البروتوستانت:</u>

فى عام 1517م أرسل البابا ليو العاشر إلى البلدان الأوروبية مندوبيه بهدف بيع مجموعة من صكوك الغفران وتجميع أموال لإعادة بناء كنيسة القديس بطرس القديمة مرة ثانية.

كان ذلك فى وقت كانت فيه العديد من دول أوروبا تعانى من محدودية مواردها نتيجة النزاعات الداخلية المستمرة التى وصلت إلى حدود الحروب الأهلية مع تهديدات مستمرة من جانب الدولة العثمانية القوية فى ذلك الوقت ومع حالة من البؤس أصابت العامة فى دول أوروبا المختلفة.

وكان من ضمن تلك الدول إمارات ألمانيا المختلفة والتى نشأ فيها أحد الرهبان اللهوتيين يُدعى مارتن لوثر والذى صدف وجوده فى لحظة إرسال المبعوث البابوى جوهان تتزل إلى قرب حدود إمارة ساكسونيا الألمانية لتجميع هذه الأموال.

ولقد أدت الخطب والإدعاءات التى نشرها تتزل فى سبيل تجميع صكوك الغفران والتى عرض فيها لقدرة البابا على غفران الذنوب بحق إلهى تخطى به مرتبة الرسل وحتى عيسى إلى إثارة حفيظة لوثر الذى رأى في كلام تتزل تجاوزات غير مقبولة ما جعله يتصادم معه فى صدام نقاشى عنيف، توعده بعده تتزل بالويل والحرمان فما كان من لوثر إلا أن كتب رسالة مطولة فى نقد صكوك الغفران وعلقها على باب كنيسة القلعة الساكسونية ليقرأها العامة والخاصة.

وما بدأ كاحتجاج قد يكون شديدًا على مبدأ واحد من مبادئ المذهب الكاثوليكى تحول سريعًا كالنار فى الهشيم ليلاقى صدى واسعًا فى أوساط المتعلمين الأوروبيين والجامعات التى وجدت فيها فرصة للتخلص من القيد الكنسى.

كما أن أمير ساكسونيا فريديك الحكيم وعدد آخر من أمراء المقاطعات الألمانية انتهزوا نفس الفرصة للاستيلاء على أملاك الكرسى الرسولى فى أراضيهم والاستفادة من ريعها بدلا من إرسالها للبابا.

ونتج عن ذلك الصدام اشتعال الموقف وتحول الأمر من مجرد احتجاج إلى ثورة دينية عارمة فى محاولة لإصلاح الهيكلية الكنسية (ومن كلمة PROTESTANT التى تعنى محتج خرجت كلمة بروتستانت أى المحتجين).

وكما ذكرنا سابقا فقد رحبت الكثير من البلاد الأوروبية وعلى رأسها ألمانيا وهولندا وسويسرا وإنجلترا بحركة المحتجين اللوثرية ومذاهبهم؛ لأنهم وجدوا فيها خلاصًا من قيد الكنيسة البابوية وسلطانها، ومنذ بداية حركة الاحتجاج أسهم كثير من اليهود المتنصرين ممكن كانوا قد ألفوا طائفة قديمة تُدعى الطائفة الألفية فى تأجيج هذه الثورة ونشرها (طائفة الألفية كانت طائفة قد ظهرت فى نهايات القرن التاسع الميلادى تدعى عودة المسيح عند رأس الألف عام ليحكم العالم من الأرض المقدسة ولتمهيد عودته لابد من عودة اليهود إلى فلسطين وكانت أحد الأسباب الدينية المؤثرة فى قيام الحملات الصليبية)، فكانت إحدى دعائم البروتستانتية هى المناداة بالعودة اليهودية إلى أرض فلسطين (ألف مارتن لوثر عام 1523م كتاب المسيح وُلد يهوديًا وإن كان قد انقلب عليهم بعد ذلك عام 1544م عندما نشر كتابًا عن أكاذيب اليهود إلا أن التعامل مع اليهود سواء بمبدأ الطرد إلى فلسطين أو دعم حقهم فيها أصبح خاصية أساسية من خواص العقيدة البروتستانتية وعليها بُنيت مذاهب الصهيونية المسيحية واليهودية على حد سواء).

وعلى مدار ما يقرب من قرن و نصف القرن تحولت أوروبا إلى ساحة ضخمة للصراع بين المذهبين الكاثوليكى و البروتستانتى و الطريف فى الأمر أنه صدف فى كثير من الأحيان تحالف بين قوى كاثوليكية مع أخرى بروتستانتية ضد قوى أخرى من نفس المعسكرين و استخدم ملوك و أمراء أوروبا المذهب الجديد كورقة ضغط و تلاعب يرهقوا بها كاهل الكنيسة الكاثوليكية (مثلما حدث مع ملوك أسرة تيودور الإنجليزية و أشهرهم هنرى الثامن الذى نتج عن خلافه مع كنيسة روما فى قضية تطليقه لزوجته الأولى تعزيزه للمذهب البروتستانتى فى إنجلترا، و إن كان صبغه بشكل كاثوليكى مكونًا نوعًا جديدًا من الكنائس عُرفت بالأنجليكانية) كما ظهر العديد من المنظرين البروتستانت لهذا المذهب و أشهرهم كالفن الذي يُعتبر بمثابة بولس الرسول بالنسبة للمذهب البروتستانتى (و هو بالمناسبة يهودى الأصل أيضا و غير اسمه من كوهين فى سويسرا إلى كالفن) فهو الذى وضع أشهر قواعده و رسخه بعد مارتن لوثر و رسخ فيه لمبدأ حرية الكنائس و فرديتها دون الحاجة لكنيسة مجمعة (و التى انبثقت منها عقب ذلك مبدأ إعلاء الحرية الفردية للأفراد دون البحث فى تأثير حريتهم على المجتمع و هو ما نادت به طائفة البيوريتان الإنجليزية و كانت أول بذرة لليبرالية الأوروبية الحديثة).

و استمر هذا النزاع لما يقرب من قرن ونصف القرن كما ذكرنا تداخلت فيه كل القوى الأوروبية تحت سمع و مراقبة الحكومة العالمية ووصلت ذروة

النزاع فى الفترة بين عامى 1618-1648م و المعروفة بحرب الثلاثين عامًا و التى بدأت كصراع دينى بين الكاثوليك و البروتستانت و انتهت بتغييركبير فى موازين القوى الأوروبية و التى كان من أهمها إضعاف و إنهاك السلطة البابوية بشكل كبيرو انفصال جزء كبير من أتباعها لصالح المذهب البروتستانتى (و هو ما شكل الغطاء الشعبى الداعم للدفاع عن حقوق اليهود بعد ذلك مع نشوء دعوات الصهيونية)، كان ذلك بكلفة خسائر فى الأرواح وصلت لثمانية ملايين قتيل (هذا للمتشدقين بالوحشية المكذوبة للمسلمين و أنهم أساس الإرهاب).

و بانتهائها نجحت الحكومة العالمية فى تقويض جزء كبير من السلطة الكنسية البابوية ما مهد لإنهائها تباعًا فى الحروب النابوليونية فى القرن التاسع عشر ثم انتهاء سلطاتها و حصرها داخل جدران الكنيسة عقب معاهدة لاتران عام 1929م و بذلك نجحت عملية الفسيفساء الكنسية.

أما من الناحية الإسلامية فقد عمد أعضاء الحكومة العالمية لشحن الرأى العام الغربى ضد الإسلام عن طريق تكوين مدارس خاصة للبحث و التقصى عن الدين الإسلامى و إنشاء فروع خاصة بالجامعات الأوروبية لتعليم اللغة العربية و دراسة أحوال المشرق بشكل عام و المشرق الإسلامى بشكل خاص و الهدف هو البحث عن العيوب فى العقيدة الشرقية و إظهارها بالمظهر المعيب المتخلف الهمجى و تشويه صورة المنهج أمام أعين

الأوروبيين، حتى يظهر دائمًا بصفته العدو مع الإعلاء من النزعة العنصرية لثقافة الرجل الأبيض الذى يمثل رجل المرحلة و نتج عن ذلك ظهور مذاهب المستشرقين الاستعمارية بهدف نشر التبشير المسيحى على حساب العقيدة الإسلامية، و ترسيخ ثقافة الكره بين الفريقين (و هو مازلنا نتأثر بكتابات هؤلاء المستشرقين القدامى حتى وقتنا الحالى)، و للأسف فإن قلة قليلة من هذه الفئات هى التى سعت للعمل بإنصاف فى هذا المجال بينما سعت الغالبية العظمى للسير فى ركب الحكومة العالمية (و هو على الأرجح بسبب امتلاكها لموارد تمويل نشر الكتب و الأبحاث التى تحقق الشهرة لصاحبها فمن أراد التمويل فليذهب ليبيع نفسه للشيطان و ليذهب الضمير إلى الجحيم).

و كانت الحكومة العالمية بذلك قد بذرت البذرة الأولى للجهاز الإعلامى العملاق الخادم لأهدافها فى السيطرة على أفكار الشعوب فبأموالهم الضخمة أصبح عندهم القدرة على تمويل المسرحيات و الأعمال الأدبية و المذاهب الفلسفية التى تُستخدم للطعن و التلاعب فى العقائد و المناهج الدينية و مع زعزعة المعتقدات العقلية للعامة و المتعلمين على حد سواء بدأت المرحلة التالية من خطة الحكومة العالمية و هى تفكيك الملكيات القائمة فى ذلك الوقت إما بالتدمير أو بالإخضاع.

<u>تفكيك الفسيفساء الملكية (عرش واحد يحكم كل العروش):</u>

ترافق نجاح منظمة الحكومة العالمية فى توفير الثروات ثم التضييق على السلطة الكنسية الكاثوليكية و إخضاعها للدوران فى فلك المشروع الفوضوى العالمى، (و التى شكلت إلى حد ما نوع من الانتقام من الديانة المسيحية ممثلة فى الكنيسة) ارتفاع سقف الطموحات الخاصة بهم للقيام بالخطوة التالية و هى الانتقام من الملكيات الأوروبية المختلفة التى أجلتهم من تلك البلاد و طاردتهم لعقود طويلة، و ضيقت عليهم فى الجيتوهات و نفتهم إلى الأقاليم بعيدة.

وضعت الحكومة العالمية نصب أعينها ست ملكيات قوية بسطت سيطرتها على العالم القديم مع نهايات العصر الوسيط و بداية عصور النهضة، منهم خمس ملكيات نصرانية شاركت فى عملية الإجلاء الكبير لليهود و ملكية واحدة مسلمة احتوت منهم أعدادًا كبيرة و تسامحت معهم (و هو إن دل على شيء فيدل على مدى الخسة و الغدر التى تمتع بها أعضاء هذه الجماعات فهم لا يسعون للقصاص من ظلم وقع عليهم، بل يسعون لتدمير أى منهج يخالف منهجهم المعيب حتى لا يسمو عليهم أحد).

<u>هذه الملكيات الستة كانت على وجه الترتيب كالآتى:</u>

-أسبانيا الهبسبرجية.

-بريطانيا .

-فرنسا البوربونية.

-الدولة العثمانية.

-روسيا القيصرية.

-الإمبراطورية الرومانية المقدسة (الممثلة فى ألمانيا و الإمبراطورية النمساوية المجرية).

ولقد وضع زعماء الحكومة العالمية لهذا المشروع جهودًا كبيرة و خطط معقدة اعتمدت على الصبر و اقتناص الفرص و امتدت على مدار ما يقرب من ثلاثة قرون لتفكيك هذه القوى.

وفى المقابل عمد زعماء الحكومة العالمية على إنشاء قوة جديدة عبر المحيطات تكون بعيدة جغرافيًا عن التأثير الأوروبى و يسهل فيها تشكيل قوة الحكومة العالمية مستقبلًا و كانت هذه البقعة بالنسبة لهم هى ما عُرف بعد ذلك بالولايات المتحد الأمريكية.

وكانت أولى القوى انهيارًا هى الملكية الأسبانية صاحبة الأرمادا.

<u>تفكيك الملكية الأسبانية:</u>

ذكرنا سابقا كيف حملت دوقيات قشتالة و ليون و أراغون لواء المقاومة الصليبية ضد الوجود الإسلامى فى شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا و البرتغال)، حتى تمكنت من طرد المسلمين مع إحداث مذابح ضخمة بهم عن طريق محاكم التفتيش الأسبانية، و مع جملة المسلمين المطرودين تم طرد

الكثير من اليهود السفارديم تنفيذًا لعملية الإجلاء الأكبر لليهود من كامل أوروبا والتى لم يتأثر بها سوى طبقة عوام اليهود التى قُدمت ككبش محرقة فى مقابل حفاظ السادة من نخب اليهود على مصالحهم والتى لم تتأثر كثيرًا بعمليات الإجلاء (ووضح هذا من سردنا السابق لتنظيمهم وتمويلهم لعمليات الاكتشافات الجغرافية من داخل البلاط الأسبانى والبرتغالى).

وعن طريق عمليات الإجلاء والتنقل المستمر من أسبانيا إلى داخل العديد من بلدان أوروبا سرًا وإعادة تكوين الشبكة التجارية اليهودية مرة أخرى وبشكل أكثر كثافة وتنوعًا وفى ظل الحماس الأسبانى الشديد للكاثوليكية باتت الملكية الأسبانية مصدر خطر لابد من إزاحته من الصورة لسببين:

-أولا: لضمان توطيد القدم اليهودية فى المستعمرات الجديدة فى الأمريكتين من دون القلق من النزاع الكاثوليكى مرة أخرى.

-ثانيا: الانتقام لعمليات إجلاء اليهود ومذابحهم فى محاكم التفتيش (وهذا المرض وهو مرض التباكى على الضحية من أشهر الأمراض النفسية اليهودية فى التاريخ، فالصدوقيين مثلا كانوا على استعداد للتضحية بالفريسيين لدى الرومان للحفاظ على مكاسبهم ويهود الجزيرة العربية كانوا يتحالفون مع قبائل العرب لقتال قبائل اليهود الأخرى ثم عقب انتهاء تلك النزاعات يجلسوا ليتباكوا على ضحاياهم ويحملون خطاياهم للأمم الأخرى ليجدوا فى ذلك هدفًا لتدمير الأمم الأخرى وإذلالها).

وقد تم تنفيذ هذا المخطط على ثلاثة مراحل:

-أولهما: تفكيك المراكز المالية التجارية اليهودية فى أسبانيا و البرتغال و إعادة بنائها فى أماكن أخرى من أوروبا (و التى كان أشهر مراكزهم فيها فى إنجلترا و هولندا و بلجيكا) و هو ما ألحق ضررًا بالغًا بالاقتصاد الأسبانى و شكل نواة لضعفه مع تحول عمليات التجارة عن أسبانيا و البرتغال (و الواقع أن المُلام فى هذا الأمر هم الأسبان أنفسهم نتيجة طردهم لأعداد كبيرة من الجماعات اليهودية المتفوقة تجاريًا.

-ثانيها: كان جر أسبانيا إلى داخل أوروبا فى نزاعاتها الدينية بين الكاثوليك و البروتستانت و التى سببت لها الصدام مع العديد من الدول الأوروبية التى اتبعت المذهب البروتستانتى إضافة إلى الصراع على البحر المتوسط بين أسبانيا و الدولة العثمانية و حلفائها من المغاربة، وكان أبرز نزاعاتها مع الهولنديين و الإنجليز فيما عُرف بالحروب الأنجلو- أسبانية و التى استمرت منذ عام 1587-1604م و التى كان أبرز أحداثها تدمير أسطول الأرمادا الأسبانى العظيم عام 1588م على سواحل إنجلترا و التى قللت كثيرًا من هيبة الأسطول الأسبانى و ساهمت فى انكساره و معه انكفاء الملكية الأسبانية إلى صفوف القوى الثانية، هذا بالإضافة للنصر الكبير الذى حققه السلطان المغربى أحمد المنصور بمعاونة الدولة العثمانية على ملك البرتغال سباستيان الأول فى معركة وادى المخازن و التى مهدت معها لانكفاء الإمبراطورية البرتغالية هى الأخرى و أسهم ضعف كلتا القوتين إلى

صعود نجم الملكية الإنجليزية فى السماء الأوروبية وترسيخ قوة الملكية الفرنسية البوربونية فى أوروبا وهو ما بدأ سلسلة من الصراعات بينهما من أجل السيطرة على أملاك أسبانيا فى أوروبا.

-وأما الطريق الثالث: فقد كان زعزعة السيطرة الأسبانية على مستعمراتها فى الأمريكتين وكان ذلك أولا عن طريق تهديد طرق التجارة البحرية بينهم بالقرصنة البحرية المستمرة والتى تزعم حملتها البحار الإنجليزى البروتستانتى فرانسيس ديريك والذى ظل مطاردًا للسفن الأسبانية حتى آخر أيام حياته وإليه يعزو الفضل الكبير فى توسع الملكية البريطانية من مرحلة الملكية المحدودة إلى بدايات العصر الإمبراطورى فى عهد آخر ملوك أسرة التيودور إليزابيث الأولى، ثم محاولات انتزاع هذه المستعمرات من أيدى الأسبان بالتوسعات الفرنسية والإنجليزية والهولندية والتى أضعفت إلى حد كبير من الملكية الأسبانية وسارعت فى انكفائها عبر القرون خاصة إبان الحروب النابوليونية ووصولًا لفترة الانقلاب الجمهورى على يد الديكتاتور الأسبانى فرانسيسكو فرانكو فى القرن العشرين عقب الحرب الأهلية الأسبانية.

وبذلك نجحت أولى عمليات إزاحة الملكيات من الخارطة العالمية.وكانت الملكية الإنجليزية هى التالية على القائمة.

****

إخضاع الملكية الإنجليزية:

منذ بدايات القرن السابع عشر شكلت عملية إخضاع الملكية الإنجليزية لزعماء المشروع الفوضوى العالمى و ذلك لعدة أسباب:

-كان التباعد الكنسى الدائم بين أسقفيتى كانتربرى و يورك الإنجليزيتين و بين البابوية فى روما و أيضًا بين ملوك إنجلترا و الكنيسة الرومانية (خاصة مع موالاة الكنيسة لفرنسا على حساب إنجلترا) سببًا رئيسيًا فى تشجيع انتشار البروتستانتية بين سكان الجزر البريطانية طوال القرن السادس عشر خاصة مع تولى الأسرة التيودرية لحكم إنجلترا بعد حرب الوردتين الأهلية و هو ما رآه زعماء المشروع الفوضوى العالمى فرصةً مناسبةً لنقل أنشطة العديد من الشبكات التجارية اليهودية من البقع الكاثوليكية المعادية لليهود إلى المناطق البروتستانتية الإنجليزية المتسامحة نسبيًا مع التواجدات اليهودية، و هو ما تم بالفعل إذ أن العديد من اليهود الأسبان و البرتغاليين الّذين صدر بحقهم قرارات طرد من أسبانيا و البرتغال قاموا بتصفية أعمالهم و توجهوا رأسًا إلى بريطانيا؛ حيث أسسوا العديد من المراكز المالية القوية بها و ترسخت قوتها مع نشاط الصيرفة و البورصة التى اكتسحت أوروبا بالكامل فى القرن السادس عشر فجعلوا منها مركزًا مهمًا للإتصال مع تجارة المستعمرات فى أمريكا الشمالية التى احتكروا الكثير منها لحسابهم.

-كان الصعود العسكرى أيضا للأسطول الإنجليزى فى وسط القوى العسكرية العالمية خاصة مع تحطيمه للأرمادا الأسبانية عام 1588م نصرًا مهمًا اعتبره دعاة المشروع الفوضوى العالمى مقدمة لخلق قوة عسكرية بروتستانتية تمثل فى المستقبل حماية لفكر و مصالح زعماء المشروع الفوضوى العالمى عبر المحيطات (كما ذكرنا كان قائد الأسطول هو الأدميرال البروتستانتى فرانسيس ديريك) فى حالة إخضاع الملكية المسيطرة على هذه القوة الكبيرة.

-مثلت عملية إخضاع الملكية الإنجليزية أول اختبار حقيقى لقوة زعماء المشروع الفوضوى العالمى فى قلب نظم الحكم و تطويعها لمصالحهم فاعتبروا الجزر البريطانية حقل تجارب خاص بهم و مثلت نجاح عملية الإخضاع شرارة إطلاق الفوضى التسلسلية لإسقاط العروش الأوروبية فى كامل القارة الأوروبية فى حالة نجاحها.

-كما أن عملية الإخضاع مثلت نوعًا من الانتقام و التشفى من التاج الملكى البريطانى الذى أصدر قرارا عام 1275م بطرد اليهود من إنجلترا.

وكانت أول خطوة من خطوات هذا المشروع هو دعم طائفة البروتستانتيين الكلفنيين فى إنجلترا و تقوية مراكزهم ماليًا و شعبيًا فى أوساط العامة و التى اجتمعت تحت اسم البيوريتان (الطهوريين)، حتى استطاعت هذه الطائفة أن تُشكل قوة لابأس بها داخل مجلس العموم

الإنجليزى و من داخل مجلس العموم بدأت المضايقات تتشكل بين البرلمان الإنجليزى (و الذى شكل أحد أعمدة الحكم فى النظام الإنجليزى منذ القرن الثالث عشر) و بين الملك تشارلز الأول (الذى خلف إليزابيث على العرش) خاصة مع استغلال أن تشارلز كان مسرفًا ماديًا و كان كاثوليكى الهوى على غير غالبية الأراضى الإنجليزية التى تشربت بالبروتستانتية خاصة مع حرب الثلاثين عامًا.

تزعم حركة المعارضة ضد الملك فى البرلمان اللورد أوليفر كرومويل الذى تلقى مساعدات مالية ضخمة من الشبكة المالية اليهودية فى إنجلترا، إضافة لتكوين تحالف مع العديد من اللوردات الأسكتلنديين (و خاصة أن أسكتلندا كانت ملجًأ قويًا احتمى فيها العديد من الهاربين من منظمات الفرسان الصليبية عقب قرارات الحرمان البابوى بحقهم فى القرن الرابع عشر و أعادوا تنظيم صفوفهم فى أسكتلندا).

و نتيجة لاحتدام الخلاف بين الملك و بين أنصار البرلمان نتيجة رغبة الملك فى الحصول على المزيد من أموال الضرائب لتقوية جيوشه إضافة إلى محاولة الملك مناصرة مجموعة من القساوسة الكاثوليك على حساب البرلمان البروتستانتى.

أدت هذه الخلافات الحامية إلى احتدام النزاع بين البرلمان و بين الملك و تحولها من مجرد خلافات إلى حرب أهلية عنيفة تزعمها أوليفر كرومويل

زعيم حركة البيوريتان والمدعوم سرًا من زعماء المشروع الفوضوى العالمى (والذى كان يمثلهم فى هذا الوقت فى إنجلترا منسى بن إسرائيل و فرناندیز كارفاجال الذى تولى منصب رئيس المستشارين العسكريين لكرومويل وأشرف على تدريب قواته) ومع تحالفهم مع الأسكتلنديين (و الّذين من المؤكد أنهم ضموا فى أوساطهم جماعات قوية من تنظيمات الفرسان الصليبية المطرودة) نجحت هذه القوات فى هزيمة قوات الملك تشارلز الأول فى نيزبى عام 1645م ليتهاوى العرش الإنجليزى، ويتم القبض على الملك تشارلز الأول والذى تم إعدامه بعد ذلك عقب محاكمة برلمانية صورية تم انتقاء أعضائها من الموالين لكرومويل (أوكل كرومويل إلى أحد قادة جيشة والمعروف بكولونيل برايد بتصفية أى عضو برلمانى مشكوك فى ولائه فيما عُرف تاريخيا بتصفية برايد) وتم إعدام الملك عام 1649م ليتم إعلان قيام ديكتاتورية إنجليزية تحت قيادة أوليفر كرومويل الذى تم تلقيبه (حامى اللوردية الإنجليزية) واستمرت فترة حكمه مدة ما يقرب من عشر سنوات حتى وفاته عام 1657م انتشرت خلالها أعمال الترويع المستمر للشعب الإنجليزى من قبل الحكم السلطوى الديكتاتورى.

ويبدو أن العنف المحتدم كان مبالغ فيه، وهو ما أدى إلى ثورة شعبية ضد النظام السلطوى مع استمرار وجود أنصار أقوياء للملكية داخل إنجلترا و الّذين نجحوا فى إعادة تشارلز الثانى ابن تشارلز الأول إلى سدة الحكم.

أدى هذا إلى تعديل زعماء المشروع الفوضوى العالمى لخططهم من الإطاحة بالملكية بشكل كامل فى إنجلترا إلى إخضاعها لتكون تحت سيطرتهم وعمدوا فى سبيل ذلك إلى خلق جو مستمر من المشاحنات و الإضطرابات بين الكاثوليك و البروتستانت (اللعب الدائم على خلق الشقاق فى العقيدة للتفرقة بين أبناء الوطن الواحد) و فى نفس الوقت العمل على استدعاء ملك بروتستانتى جديد ليحكم إنجلترا، فكان إتصالهم بوليام الثالث دوق أوف أورانج الهولندى و ابن عم الملك تشارلز الثانى و تقديم المساعدات المالية الضخمة له فى مقابل هجومه على إنجلترا و انتزاعها من أيدى الملك جيمس الثانى أخو تشارلز الذى تولى الحكم بعد وفاة أخيه و كان كاثوليكيًا (استغلوا هنا حالة الحرب التى سادت بين إنجلترا و هولندا منذ عام 1652م فيما عُرف ببداية الحروب الإنجليزية الهولندية و التى استمرت حتى عام 1714م).

و أسفرت خطط زعماء مشروع الفوضى العالمى فى إنجلترا فى إسقاط جيمس الثانى و تولية وليام الثالث مكانه فى عام 1688م و هو ما عُرف فى إنجلترا بالثورة المجيدة، و نتج عنه ميثاق الحقوق الإنجليزى الذى كان من أولى بنوده عدم أحقية تولى العرش إلا لملك بروتستانتى كما ترسخت على إثر هذه الثورة الأخيرة تقليص سلطات الملك فى مقابل سلطة البرلمان (و هو البرلمان الذى تم فرض السيطرة عليه من قبل رجال المال اليهود منذ عهد كرومويل).

وكان من أهم نتائج الإنهاكات المتكررة للملكية الإنجليزية ما يلى:

-فرض سيطرة على العرش الإنجليزى عن طريق مبدأ أن الملك يملك ولا يحكم وإنشاء منصب رئيس الوزراء الذى يمارس مهام الملك فى الحكم (وهو ما فتح الباب على مصراعيه للتدخل بالسياسة الإنجليزية عن طريق تولية وخلع من يرونه مناسبًا لرئاسة الوزراء وإخضاعهم عن طريق الهبات المالية الممنوحة لتمويل حملاتهم الإنتخابية كما وصل عدد من خواص رجالهم لهذا المنصب وأشهرهم موشى دزرائيلى الذى تولى رئاسة الوزراء فى الحقبة الفيكتورية).

-تأسيس بنك إنجلترا عام 1694م عن طريق وليام باترسون الأسكتلندى و الذى ترسخت معه الهبات المالية الممنوحة من الشبكة المالية اليهودية من مجرد هبات إلى قرض حرص زعماء المشروع الفوضوى العالمى إلى تضخيمه على مدار الأعوام عن طريق الزج بإنجلترا فى العديد من الحروب وتمويل تلك الحروب مع الحصول على فوائد مستمرة وعالية لهذا القرض تسمح بالسيطرة الكاملة على النظام النقدى والإقتصادى لبريطانيا بشكل مستمر (تضاعفت قيمة هذا القرض من 1250000 جنيه استرلينى عام 1688 إلى أكثر من 885000000 مليون جنيه استرلينى فى منتصف القرن التاسع عشر).

-تحولت إنجلترا إلى قبلة مهمة لليهود مع رفع الحظر عنهم و منحهم الكثير من حقوق المواطنة الإنجليزية و دخول العديد منهم إلى البرلمان الإنجليزى.

-سهلت السيطرة على العرش الإنجليزى من عملية الانتقال من العالم القديم و بسط السيطرة على المستعمرات الإنجليزية الأمريكية و إثارتها ضد التاج الملكى البريطانى لتتأسس بعدها الولايات المتحدة الأمريكية عام 1776م ككيان خالص تابع للحكومة العالمية (أغلب من وقع على إعلان الاستقلال الأمريكى كان ينتمى بشكل أو بآخر إلى التنظيم العالم الجديد و على رأسهم جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية).

وكنتيجة حتمية لإخضاع العرش الإنجليزى أصبح زعماء المشروع العالمى على قدر عالى من القوة و الخبرة لتنفيذ الخطوة التالية، و هى عملية سحق و تدمير الملكية الفرنسية البوربونية التى كانت بمثابة الزلزال للعالم الأوروبى.

<u>تفكيك الملكية الفرنسية:</u>

منذ بدايات القرن السابع الميلادى شكلت الملكية الفرنسية حجر الزاوية فى التطورات الأوروبية المختلفة من صراعات و أحداث و مشروعات للتوسع بداية من قيام دولة شارل مارتل الميروفينجية ثم دولة شارلمان الكارولينجية و مرورًا بتكوين مملكة كابيه و انتهاءً بملكية البوربون.

لقد كانت فرنسا محورًا مهمًا فى مثلث النزاعات الأوروبية طوال العصور الوسطى ابتداءً من الصراع على تقسيم عرش الكارولينجيين و الذى كان بداية النزاع بين فرنسا و ألمانيا، ثم التقارب المستمر غير المحدود بين العرش الفرنسى و الدولة البابوية و الذى بلغ ذروته مع الحملات الصليبية و فترة بابوية أفينيون و الذى عمق الخلاف بين فرنسا و إنجلترا من ناحية و بينها و بين ألمانيا من ناحية أخرى.

كما أن ملوك فرنسا الأقوياء كانت لهم أطماع توسعية دائمة داخل القارة الأوروبية و خارجها فكانت أغلب الحروب الأوروبية الداخلية غالبا ما تبدأ نتيجة لنزاع بين فرنسا و إحدى الدول، أو لدخول فرنسا كحليف لأحد المتنازعين ما يحرك الصراع سريعًا لمرحلة الاشتعال.

وكان لفرنسا دور عميق الأثر فى عمليات تكوين محاكم التفتيش البابوية على إثر ملاحقة ملكها فيليب الرابع لأعضاء فرسان المعبد و إحراقهم عام 1314م كما أن فرنسا كانت أولى الملكيات التى أصدرت قرارات طرد بحق اليهود من أراضيها عام 1253م.

ولأنها كانت عظيمة الأهمية فى أوروبا فقد قرر زعماء المشروع الفوضوى العالمى أنه لابد من إخضاع هذه الملكية بأى ثمن لسلطانهم و تزايدت هذه الآمال مع نجاحهم فى إعادة تكوين الملكية الإنجليزية طبقًا لمعاييرهم الخاصة.

استغل زعماء المشروع الفوضوى العالمى الأطماع الفرنسية الدائمة فى التوسع على حساب جيرانها، وتم الدخول معها فى مجموعات من المعارك طوال النصف الثانى من القرن السابع عشر وحتى نهايات القرن الثامن عشر بغية إنهاكها ماليًا بشكل كبير وهو ما يشكل بالنسبة لهم الطريق الرئيسى من أجل تفكيكها.

ففى المرحلة الأولى من تلك الفترة تم استغلال أطماع الملك لويس الرابع عشر فى التوسع للزج بفرنسا فى مجموعة من الحروب المختلفة بداية من الدعم الفرنسى لتشارلز الأول والثانى وجيمس الثانى من بيت ستيوارت الملكى الإنجليزى إبان الثورة الإنجليزية إلى الحروب الفرنسية الهولندية من أجل السيطرة على الممرات التجارية البحرية وحتى حروب الوراثة الأسبانية التى استمرت منذ عام 1701-1714م والتى أنهكت الخزانة المالية الفرنسية بشكل كبير بينما لم تحقق الحروب المتوالية نتائج مفيدة بالنسبة للويس الرابع عشر حيث حددت إتفاقية أوترخت نطاقات السيطرة فى القارة الأوروبية وأنهت إلى حد كبير الهيمنة الفرنسية على أوروبا.

وأعقب هذه الحروب إدخال فرنسا وأسطول الأطلنطى الخاص بها فى معارك أخرى مع الأسطول الإنجليزى امتدت على فترات متفاوتة من القرن الثامن عشر والتى هدفت إلى دعم المستعمرات الإنجليزية المتمردة فى

أمريكا انتقامًا للسيطرة الإنجليزية على العديد من المستعمرات الفرنسية فى أمريكا الشمالية و الهند.

وكان من الطبيعى أن كل هذه الحروب و المعارك قد أدت إلى إثقال كاهل الخزانة الفرنسية و التى لجأ ملوكها منذ عهد لويس الرابع عشر إلى المرابين اليهود من أجل تمويل حملاتهم (و هو بالتأكيد ما كان يطمح له زعماء المشروع الفوضوى العالمى).

و مع اطمئنان زعماء المشروع الفوضوى العالمى لنتائج خطواتهم فى إنهاك الملكية الفرنسية بدأ التجهيز لخطة الإطاحة بالعرش الفرنسى بشكل كامل وكان خروج الخطة من قلب أحد المعاقل المناوئة لفرنسا و هى ألمانيا.

ففى منتصف القرن الثامن عشر تم عقد اجتماع فى فرانكفورت حضره نخبة من زعماء المال اليهود من أجل وضع خطة الإطاحة بالعرش الفرنسى و ما سيتبعه من خطوات للسيطرة على المقدرات العالمية و فى هذا الاجتماع تم التأسيس لما عُرف بعد ذلك ببروتوكولات حكماء صهيون و التى وُضعت فيها المبادئ التى سيسير عليها التنظيم العالمى طوال القرنين التاسع عشر و العشرين.

وقد اعتمد زعماء المشروع الفوضوى العالمى على تجربتهم فى إنجلترا مع بعض التطوير من أجل إحكام الحلقة حول عنق ملك فرنسا مع عدم ترك أى مجال للخطأ.

استخدم زعماء المشروع الفوضوى العالمى كافة خبراتهم فى إنفاذ هذه الخطة على النحو التالى:

-بدأت الخطة باختراق طبقة النبلاء الفرنسية عن طريق تجنيد الكونت دى ميرابو صاحب السلطة الواسعة فى البلاط الملكى الفرنسى واستمالته بالأموال من أجل الوصول إلى أحد أقرب المقربين من الملك الفرنسى وهو الدوق أورليان.

-ومع نجاحه فى استمالة الدوق أورليان بدأت الشبكة المالية اليهودية فى اجتذاب الدوق ومحاصرته بشتى أنواع المتع والإغراءات (وتم استخدام العنصر النسائى بشكل بارز فى هذه الخطة)، ووصل إغراقه فى هذا المستنقع لحد الإسراف مع قيامه بنشر أفكارهم المنحرفة فى أوساط الجمعيات الفرنسية المختلفة وتجنيده للعديد من البرجوازيين والمفكرين والأساتذة لأهداف المشروع الفوضوى العالمى (تم هذا مع إغراء الدوق بإمكانية الإطاحة بالملك وتوليته مكانه على العرش وهو نفس ما حدث مع كرومويل فى إنجلترا).

-مع تعمق الدوق أورليان فى مستنقع الانحراف ازدادت حاجته للأموال ما اضطره إلى رهن أملاكه سرًا حتى قصره الخاص (باليه رويال) لصالح المرابين اليهود و من قصره بدأت عجلة المؤامرة تدور بسرعة كبيرة حيث أصبح قصره ماخورًا يجتذب شتى طبقات النبلاء الفرنسيين للمتع و الملذات من رجال و نساء بشكل يعجز عن الاختفاء، و فى نفس الوقت عمد المرابون اليهود على استخدامهم سلطانهم الإعلامى فى الترويج لتلك الفضائح بين العامة فى فرنسا و التى كانت تنوء تحت عبء الجوع و الظروف الاقتصادية السيئة فى ظل حكم ملك ضعيف لايملك السيطرة على مقاليد الحكم فى دولته.

-مع ازدياد حدة الحملات الإعلامية الموجهة ضد باليه رويال (و التى كانت تخرج من قلب هذا القصر بالذات) وصلت الأمور إلى حد تشويه الملك و الملكة و إظهارهم بمظهر المسرفين ماليًا و المنحرفين خلقيًا (استغلوا الأخيرة على وجه الخصوص فى مؤامرة للإمعان فى تدمير الكنيسة الفرنسية عن طريق إدعاء وجود علاقة منحرفة بينها و بين كاردينال الكنيسة الفرنسية) فى ظل أزمة اقتصادية طاحنة (لعب فيها التجار اليهود دورًا بارزًا من خلال احتكار السلع و إخفائها و تهريبها و بيعها فى السوق السوداء بأسعار مرتفعة) و هو ما أدى إلى زيادة حدة غضب الجياع فى فرنسا و انطلقت على إثرها المظاهرات الغاضبة.

-عند هذه النقطة تم استغلال حالة السخط العام و المظاهرات الغاضبة فى إطلاق مجموعات خاصة من المخربين فى قلب التظاهرات، تم تدريبهم فى ما عُرف باسم نادى اليعاقبة لمهاجمة سجن الباستيل أشد السجون الفرنسية قسوة و المحتوى على عتاة المجرمين و إطلاقهم من السجن ليشيعوا الذعر و الانفلات فى قلب العاصمة الفرنسية (المتأمل فى هذه الأحداث يستطيع أن يجد من صاحب فكرة إطلاق و تأليب الجماهير و التى كانت تمهيدًا للحركات الجماهيرية العالمية تحت مظلة الشيوعية).

-و مع توسع أحداث المظاهرات نجح الفوضويون العالميون عن طريق عميلهم الدوق أورليان من استصدار أمر بالقبض على الملك و الملكة مع مجموعة من النبلاء و خاصة رجال البلاط عن طريق تعيين مدعى عام لمحاكمتهم على جرائم الفساد و إلحاق الضرر بفرنسا (عنصر استغلال الخطأ) و عن طريق نفس الدوق صدر الحكم على الملك و الملكة بالإعدام بالمقصلة مع جموع أخرى من النبلاء و رجال الكنيسة الفرنسية عام 1792م لتتم الإطاحة بالملكية الفرنسية بأحد أبشع الوسائل و التى بدأ معها فى فرنسا عهد دامى استمر ما يقرب من أربع سنوات عُرف بعهد الإرهاب (و الذى ذُبح فيه آلاف من الفرنسيين رجالًا و نساءً و أطفالًا بدعوى انتمائهم إلى العروق النبيلة و كان من ضحايا الدوق أورليان نفسه الذى انتهى دوره فى اللعبة الفوضوية عند هذا الحد و وجب التضحية به).

كان من أهم نتائج الثورة الفرنسية ما يلى:

-القضاء على طبقة النبلاء الفرنسية القديمة و سلالة البوربون القوية و تكوين طبقة أخرى من أثرياء الحرب و الإعلاميين و رجال السياسة الّذين وضعوا ولاءاتهم تحت سيطرة زعماء المشروع الفوضوى العالمى.

-توجيه ضربة قوية للكنيسة الكاثوليكية باقتلاع أحد أهم مراكزها و هى فرنسا و التى كانت المركز بعد ذلك للمناداة بمبدأ العلمانية و فصل الدين عن الدولة (كان اتخاذ هذا الشعار بداية بمعنى فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية بما كان يعنى العلمانية الجزئية، و استغله زعماء الفوضى لتعميمه بهدف فصل الأخلاق و العقائد بالكامل عند التعامل فى أمور السياسة و التجارة و المال و هم بذلك يوجهون ضربة قاتلة لمنظومة الأخلاق و الدين عن طريق تقليل قيمته فى النفوس و إخراجه من حيز التطبيق العملى إلى مجرد تراتيل و ترانيم تُقرأ فى دور العبادة).

-أشعلت الثورة الفرنسية الصراع على أشده داخل أوروبا و خارجها بعد أن كان قد هدأ إلى حد كبير عقب معاهدة أُوترخت نتيجة إشعال سباق تسلح قوى فى أوروبا بهدف تأمين الملكيات الباقية من الأفكار الفرنسية، و التى ظهرت مع خلق العدو العسكرى الجديد المتمثل فى شخص نابليون بونابرت.

-بدأت مع الثورة الفرنسية بذور الدعوة الشيوعية و فن تحريك الجماهير و الذى استخدمه دعاة المشروع الفوضوى العالمى للتغطية على تحركاتهم الخاصة و إبعاد أنفسهم عن الضوء و المحافظة على شبحيتهم قدر الإمكان.

و مع عهد الإرهاب أسدل الستار بشكل نسبى على عملية جدارية الفسيفساء و التى نجحت فيه القوى الفوضوية فى تشكيل نظام اقتصادى جديد و تقويض السلطة الكنسية بشكل كبير مع نجاحهم فى تفكيك ثلاث ملكيات من أصل الملكيات الستة المستهدفة.

و أقبل القرن التاسع عشر حاملًا معه المرحلة الثانية من الخطة الفوضوية و هى عملية زرع الألغام الفوضوية التى سيستهدف بها زعماء المشروع الفوضوى تدمير الملكيات الباقية و ترسيخ السموم الفكرية فى عقول الشعوب البشرية على وجه الأرض.

****

عملية زرع الألغام

أقبل القرن التاسع عشر حاملًا معه نشاطًا عارمًا لزعماء المشروع الفوضوى العالمى مدفوعًا بالنجاح الساحق الذى أحدثته مخططاتهم على مدار القرون الثلاثة السابقة.

فالحكومة العالمية الآن أصبحت تمتلك بشكل تقريبى مراكز القوى فى أوروبا الغربية بعد تطويعها للدولة البابوية والملكيات الإنجليزية و الأسبانية وتدميرها للملكية الفرنسية، كما أن النفوذ المالى للجماعات اليهودية أصبح محلقًا فى السماء فى أعقاب سيطرتهم على البورصات المالية العالمية وتأسيسهم للعديد من البنوك فى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا و هولندا وبلجيكا وألمانيا وسويسرا وأصبحت شبكاتهم المالية الممتدة على طول أوروبا وعرضها تهيمن على ممرات التجارة البحرية عبر رأس الرجاء الصالح وتجارة المستعمرات فى أمريكا الجنوبية والشمالية.

وعلى الصعيد الاجتماعى والفكرى فقد تمكن زعماء المشروع الفوضوى العالمى من تكوين أرضية شعبية متعاطفة إلى حد كبير مع الأفكار التلمودية اليهودية عبر السيطرة على الجماعات البروتستانتية المختلفة، و عبر هذه السيطرة نجحوا فى التسلل بين جموع الأوروبيين ونشر العديد من الأفكار والنظريات الأخرى مستغلين الأحداث السياسية المختلفة ونتائج

تجاربهم فى الإصلاح الدينى و فى كل من الثورتين الإنجليزية و الفرنسية، و عن طريق مناورتهم المستمرة برؤوس أموالهم الضخمة نجحوا فى تكوين إمبراطورية إعلامية ضخمة تبث أفكارهم فى الجامعات و المراكز العلمية و الفنية و الأدبية و تستقطب كل صاحب فكر متوافق مع أفكارهم و تعلو به إلى السماء و تقوم بعمل اقتطاعات مختلفة من أى نظرية لتبرز فقط الجوانب التى تخدم أفكارهم المنحرفة.

كما نجح زعماء المشروع الفوضوى العالمى من تثبيت أقدامهم فى العالم الجديد بشكل قوى للغاية عبر خلق شبكات قوية للمال و الإتصالات بين المهاجرين اليهود و أقرانهم فى العالم القديم و احتكار أغلب تجارة العالم الجديد عن طريق التجار اليهود المهاجرين هناك و أعوانهم من النخبة العامة و تكلل نجاحهم بفصل المستعمرات الإنجليزية عن التاج الملكى البريطانى و تكوين ما يُعرف بالولايات المتحدة الأمريكية مع تنصيب أحد أعوانهم رئيسًا و هو جورج واشنطن و بذلك رفعوا يد بريطانيا عن السيطرة على موارد الولايات المتحدة و تفرغوا لتثبيت نفوذهم فيها طوال القرن التاسع عشر.

و بناءً على النجاح الذى تحقق فى القرون الثلاثة السابقة قرر زعماء المشروع الفوضوى العالمى أنه آن الأوان للانتقال للمرحلة التالية من المشروع و هى عملية زرع الألغام بين جموع البشر المختلفة.

اعتمدت عملية زرع الألغام على أربعة من المبادئ المستقاة من أساسايات المشروع الفوضوى العالمى و هى كالآتى:

-إن لم تجد عدوًا فاصنع عدوًا.

-بين العقل و الهوى شعرة لننتزعها.

-لتنظر بأعيننا و لتسمع بآذاننا.

-عرش يحكم كل العروش و خاتم يهميمن على كل الخواتم.

و لقد تميزت حركة المشروع الفوضوى العالمى فى هذه المرحلة بالتنوع المكانى و الزمانى بحيث تقرر تنفيذ مجموعة من المخططات بشكل متزامن فى عدة أماكن لتحقيق أكبر قدر من المكاسب لأصحاب هذا المشروع المُدمر.

و كانت أولى خطوات هذا العملية هى صناعة العدو، و خرجت من فرنسا استكمالًا لمشروع تفكيك الملكية الفرنسية و انطلاق الثورة الفرنسية.

و لعل عملية صناعة العدو تكون أخطر استثمارات و مخططات الجماعة الفوضوية العالمية على الإطلاق، فقد اعتمدت على تمويل و تقوية شخصيات و قادة من النخب العامة و الأتباع على درجة عالية من الموهبة و الطموح فى سبيل خدمة المخطط العالمى و هم قد يكونون على علم بأن

هؤلاء الأشخاص لن يكتفوا بمجرد دور التابع بل إنهم سيسعون للخروج عن السيطرة وهنا تشتعل الأمور.

وتكمن خطورة هذه العملية فى اعتماد زعماء المشروع الفوضوى العالمى على ثقتهم العالية على دحر هذا العدو فى مرحلة معينة اعتمادًا على باقى القوى المملوكة فى أيديهم بعد أن يكونوا قد حققوا من إطلاق هذا العدو مكاسب ضخمة تفوق مقدار الخسائر التى سيتعرضوا لها نتيجة الصدام (وهى بذلك عملية مقامرة على درجة عالية من الخطورة وإن دلت على شيء فإنما تدل على مدى سادية ووحشية هؤلاء الفوضويين، وعلى أنهم مرضى نفسيون بداء المراهنة فهم يراهنون على كل شيء حتى الأرواح نفسها فهم لايعنيهم الدماء التى تُراق نتيجة هذا العدو والتى ممكن أن تسيل من أتباعهم هم شخصيًا من عوام اليهود مع غيرهم من البشر فكل ذلك عندهم خسارة مقبولة فى مقابل المكسب الذى سيتم تحقيقه مستقبلًا) .

وكان العدو فى هذه المرحلة متمثلا فى أحد قادة النخبة العسكرية الفرنسية وهو الضابط الشاب نابليون بونابرت، والذى بزغ نجمه كأحد أبرز أبطال الثورة الفرنسية الّذين ساهموا فى صد ودحر الملكيين الّذين حاولوا الثورة فى أعقاب إعدام لويس السادس عشر.

كان بونابرت أحد الأعضاء البارزين فى نادى اليعاقبة الذى خرجت منه المؤامرة على العرش الفرنسى كما كان أحد الأصدقاء المقربين لماكسميليان بروسبير الذى تزعم حكومة عهد الإرهاب فى فرنسا الثورية (وهذا يفسر لحد كبير سبب دعم سادة المشروع الفوضوى لبونابرت فهو قائد عسكرى كفء وسياسى خبير ولديه الاستعداد للتشبع بمبادئ الحكومة العالمية لأبعد حد).

ولقد استغل دعاة المشروع الفوضوى الطموح النابليونى فى دحر الجيوش وتوسيع الجمهورية الفرنسية أحسن استغلال ماديًا؛ حيث استنزفوا الخزينة الفرنسية بالعديد من القروض لتمويل الحملات بيد وباليد الأخرى كانوا يأخذون هذه الأموال عن طريق تجار السلاح الموالون لهم الّذين يزودون الجيش الفرنسى بالمؤن.

أشعلت الحروب النابوليونية منذ عام 1794 وحتى عام 1815م سباق تسلح مرعب فى القارة الأوروبية، وزج بالكثير من دولها فى أتون الحرب التى تركزت فى القضاء على شخص نابليون بدلًا من التركيز على سبب اشتعال الحروب من الأساس (وفى خضم تلك الحروب انهالت أموالهم على كل الأطراف المتحاربة تعرض عليهم الأموال والأسلحة وتحصد المكاسب على جثث وأشلاء الجنود).

كانت العلاقات بين نابليون و بين قادة المشروع الفوضوى العالمى على خير ما يرام منذ دخوله نادى اليعاقبة و حتى عودته من مصر عام 1800م و التى تجلت أوجه تعاونها فى سياسته لتحرير اليهود فى فرنسا من الجيتوهات و إدماجهم فى المجتمع الفرنسى و منحهم العديد من الامتيازات التجارية و الاقتصادية بشكل جعل من فرنسا أحد أكبر مراكز القوة اليهودية فى أوروبا بعد ذلك، حتى أن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية لقبته (بمسيح اليهود الدجال) وكانت أكبر دعواته ما أطلقها عندما أطلق حملته على مصر بدعوة كافة اليهود للعودة إلى القدس، و إنشاء وطنهم هناك تحت الراية الفرنسية و التى ربما كانت أولى الدعوات الرسمية لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين و سبقت وعد بلفور بما يقرب من قرن أو يزيد.

ولكن طموح نابليون غير المحدود و محاولاته المستمرة للانفراد بالحكم على حساب العديد من متآمرى الثورة الفرنسية جعلته يتجه نحو المسار الصدامى فى العلاقة بينه و بين أصحاب المشروع الفوضوى العالمى خاصة مع إعلانه نفسه قنصلًا أولًا لفرنسا و إطاحته بالعديد من أركان المؤامرة الثورية الفرنسية.

عرض نابليون بذلك نفسه لخطر التصفية قبل أن يستفحل أمره و بالفعل كانت هناك عددًا من المؤامرات لاغتياله من أبرزها مؤامرة الخناجر (التى تُعيد إلى أذهاننا منظمة حملة الخناجر اليهودية الإرهابية القديمة أو

السيكارى الّذين كانوا يصفون خصومهم عن طريق الطعن بالخناجر) و قد حاكها ضده اليعاقبة بالتعاون مع الملكيين و بإيعاز من إنجلترا و النمسا و بروسيا (وكان هذا إيذانًا بتحول نابليون كعدو شرس).

و مع هذه المحاولات إضافة إلى الصدام المتكرر مع الملكيات الأوروبية خاض نابليون على مدار خمسة عشر عامًا منذ عام 1800-1815 غمار ما عُرف باسم الحروب النابليونية باسطًا سيطرته على كثير من الدول الأوروبية باستثناء إنجلترا و روسيا (و المتأمل لغمار هذه الحروب يجدها مُجسمًا مُصغرًا عن المرحلة الأوروبية من الحرب العالمية الثانية).

وكانت ضربة النهاية من الجماعة الفوضوية العالمية لنابليون باستغلال النزاعات التى نشبت بينه و بين ألكساندر الأول قيصر روسيا و بينه و بين الأسبان و التى أنهكت الكثير من جيوشه و أنهكته هو شخصيًا و مهدت لهزيمته نهائيًا مع تكالب القوى الأوروبية الأخرى عليه (و على رأسها الملكية الإنجليزية الهانوفرية صنيعة المؤامرة الفوضوية الأولى) لتُسحق جيوش نابليون فى معركة واترلو عام 1815م، ويتم نفيه إلى سانتا هيلانة حيث يموت هناك بعد سبع سنوات مع الشك بقتله بتسمم الزرنيخ.

و مع كل الخسائر البشرية التى لحقت فى صفوف الأوروبيين و التى بلغت مئات الآلاف من القتلى و الجرحى، كان أعضاء الحكومة العالمية يشربون نخب أحد أعظم المكاسب المالية التى حققوها فى تاريخهم فى يوم واحد على

يد ناثان ابن عائلة الدرع الأحمر اليهودية و الذى يُقال أنه كسب من معركة واترلو فقط عبر لعبة دنيئةقام فيها فى البورصة الإنجليزية ما يزيد عن ستة ملايين جنيه استرلينى (تعادل ستة مليارات بعملة عصرنا الحالى) و رسخت للسيطرة المالية لأخيه جيمس على الاقتصاد الفرنسى، كما أججت نار العداوة من جديد بين العرق الألمانى و العرق الفرنسى الذى بدأ بالإنكفاء التدريجى عقب هذه الحرب.

أعقب انتهاء الحروب النابليونية بدء خطة جديدة لتدمير السلطات الحاكمة المتبقية عن طريق بناء عدوين مرعبين، وكان عماد قوة هذين العدوين مجرد نظريات فلسفية مكتوبة على ورق مبنية على أهواء شخصية و نوازع نفسية محضة .

<u>بين العقل و الهوى شعرة لننتزعها :</u>

ذكرنا كيف أثرت الضغوط الكنسية العنيفة و أسلوبها السلطوى القمعى و التى ترافقت مع أخلاقيات منحلة لرجالها على نفوس الكثير من الطبقة المتعلمة فى أوروبا المسيحية و التى باتت تشكل قوة متزايدة مع حلول عصر النهضة، و ضاعف الخلاف بين الملوك و الكنيسة من هوة الشقاق و خاصة مع تقريب الملوك لهذه الفئة المتعلمة و استخدامها كهدف لفصل العامة عن سلطان البابا، وكان أكثر المُقربين فى البلاطات

الملكية هم الفلاسفة والأدباء والفنانين ولعل ذلك نتيجة تقارب منتجاتهم من النفس البشرية وقدرتهم على التأثير فى عقول الجماهير بسلعهم.

ولقد نتج عن جهود البحث الفلسفية الأوروبية الحديثة بروز نوعان من الفلسفة هما الفلسفة الرياضية والتى اعتمدت على قواعد الرياضيات المجردة فى اكتشاف القيم المطلقة، والفلسفة التجريبية والتى اعتمدت على إخضاع الأمور للتجربة ومن النتائج يتم استنباط القواعد الفلسفية، ولأن فلاسفة هذا العصر كانوا مرتبطين بأعمال أخرى علمية كعلوم الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وغيرها فقد أثرت تجاربهم العلمية فى فلسفتهم والعكس بالعكس (ومن هذا الترابط نشأة علاقة فلسفة العلوم وتأثير القواعد العلمية على الفكر الإنسانى).

وإحقاقا للحق فقد عمد الكثير من فلاسفة وعلماء عصر النهضة على خلق نوع من التقارب بين العلوم المادية المجردة وبين الشروحات الكنسية للظواهر الطبيعية (والتى غالبًا ما كانت مخالفة للواقع وذلك شيء طبيعى فرجال الكنيسة الكاثوليكية لم يهتموا كثيرًا بالعمل على مخاطبة الدين للعقول، وإنما كان جل اهتماهم منصبًا على كيفية تطويع النصوص الدينية لتحقيق أكبر قدر من الضرائب والإيرادات)، ولكن ذلك لم يمنع من وجود عدد منهم ممن بدأوا يجنحون إلى شاطئ البعد عن العقيدة الدينية وإن ظلوا معلنين عن أنفسهم كدينيين من أمثال ديكارت صاحب

مبدأ الشك الشهير والذى لم يتخذه شخصيًا كعنصر طعن فى العقيدة، و إنما فتح الباب من بعده للكثير ممن دخلوا للإلحاد عبر مبدأ الشك السلبى الهدام.

وكان من أوائل من جنحوا للإلحاد الدينى الفيلسوف سيبنوزا (وللمفارقة صاحب الأصل اليهودى) والذى عمد على محاولة ترسيخ العقيدة المادية على حساب العقيدة الروحية فى كتابه الأخلاق، وربما مرجعية ذلك إلى أن أغلب فرق اليهود منذ القدم عمدت إلى ترسيخ الإيمان بكل ما هو مادى و نبذ جميع الروحانيات منذ عهد موسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) صدق الله العظيم.

وكان قيام الثورة الفرنسية الداعية للعلمنة (التى بدأت جزئية وتطورت لتصبح شاملة) وفصل الدين كمنهج حياة عن الدولة ومعاملاتها بالإضافة للثورة الصناعية الكبرى التى نشأت مع اكتشاف الفحم كعنصر للطاقة البخارية وتطور الآلات وحدوث قفزة كبيرة لأسلوب المنهج العلمى فى أوروبا أثر كبير فى ظهور المئات من العلماء والباحثين (إضافة إلى مُدّعين العلم)، والمئات من النظريات التى تحاول تفسير كل ما على الأرض وكل ما فى السماء وكل ما تحت الماء من غموض وأسرار وربط كل ذلك بالأسئلة الفلسفية للتاريخ الطبيعى وأصل الإنسان ومن أين أتى؟ وإلى أين يصير؟

من المؤكد أن سادة الفوضى لم يكونوا غافلين عن هذا التلاطم الفكرى الواسع وكان لابد من استغلاله عن طريق تمرير ألغامهم الفكرية عبر مجموعة تم انتقاؤها لخلق حالة ضخمة من الصدامات الفكرية التى سيجرى توظيفها مستقبلًا فى عملية صناعة العدو.

ولأن فكرة تأليب الجماهير الغاضبة وإطلاقها عشوائيًا قد لاقت نجاحًا مدويًا فى كل من الملكيتين الإنجليزية والفرنسية، فقد تقرر صياغتها فى شكل نظرية عالمية تعتمد على فكرة الحكم الجماهيرى اللاسلطوى والمعتمدة على الإيعاز للجماهير أن إسقاط السلطات الحاكمة إنما هى وسيلة للتخلص من السيطرة النخبوية لسادة المال ومن ثم يصبح بالإمكان تشاطر ثروات الأرض بشكل متساو على حسب الحاجة والجهد، فكانت هذه هى المدخل لصناعة أول عدو عن طريق نظرية كارل ماركس الشيوعية.

وكارل ماركس هو مُنظر فلسفى يهودى من أصل ألمانى ولد عام 1818م نشأ فى بيئة فقيرة وتم اختياره نتيجة ظروف تنشئته المليئة بالسخط على الأثرياء لصياغة هذه النظرة والتى كانت إحياء لفكرة المذهب المزدكى الفارسى القديم (لا تزال العقائد الفارسية المنحرفة مصدر تأثير حتى فى زعماء الفوضى العالمية)، والفكرة المزدكية كانت قائمة على أساس تشارك البشر فى كل أنواع المتع والثروات المادية بحيث تغيب بشكل كامل سلطة

الدولة وسلطة المجتمع وسلطة الأسرة وتصبح فقط سلطة الفرد على نفسه فكل الأموال للجميع والبيوت للجميع وحتى التشارك فى النساء و الأولاد للجميع (وهذا هو عين المذهب الشيوعى ولفظة الشيوع تعنى التعميم فلا خصوصية ولا حدود ولا حقوق، وإنما هى فوضى خالصة فوضى من أجل الفوضى على غرار جاهلية قوم نوح الأولى التى تكلمنا عنها سابقًا).

أعاد ماركس صياغة المذهب المزدكى الفارسى تحت اسم النظرية الشيوعية والتى شدد فيها على الإيمان بكل ما هو مادى ومحسوس مع إنكار كل طريق للغيبيات والروحانيات وهو بذلك يرسخ لفكرة الإلحاد و إنكار الوجود الإلهى بالكلية.

واعتمد ماركس فى شرح تطبيق نظريته على تشريح المجتمع إلى أربع مراحل هى الآتية:

-المجتمع الرأس مالى الذى تسيطر على مقدراته نخب حاكمة ثرية ظالمة تأخذ الثروات وتلقى بالفتات للعمال، والتى لابد آخذة فى الانهيار استنادًا إلى تراكم الثروات لحد تفقد معه قيمتها ويؤدى هذا إلى اضطرابات عنيفة فى المجتمع الرأسمالى.

-يعقب هذه المرحلة قيام الجماهير بثورة عارمة لتحطيم السلطة الحاكمة الداعمة للنخب الثرية وإحلال نظام اشتراكى حاكم محلها ممثلًا فى قائد

يُعرف بالديكتاتور المستنير (كانت أولى مراحل تطبيق هذه التجربة فى إنجلترا مع كروموبل و فى فرنسا مع نابليون و الأخير الذى رفع شعارات الحرية و الإخاء و المساواة للثورة الفرنسية لم يكن يحمل فى طياته المعانى الخيرة لهذه الكلمات، و إنما انضوت على مبادئ إيجازية لمنطق الحرية بلاسقف و الإخاء التى تعنى نسف كل الفوارق بين الطبقات حتى لو تطلب ذلك قوة السلاح و المساواة بالاستيلاء على كل الثروات و إعادة توزيعها و لو بالقوة).

-يقوم الديكتاتور المستنير بنشر و ترسيخ المبادئ الشيوعية بين المجتمع مع استخدام سلطاته القاهرة فى تفكيك النخب الثرية و تحويل ثرواتهم إلى الشعب المستحق الكادح، مع تعظيم قدرة الشعب الاشتراكى على العمل و الإنتاج (و يحضرنى هنا القول المسرحى الساخر أنه من أجل إعلاء قيم الديموقراطية قررنا إعلان الديكتاتورية فى البلاد).

-بعد قيام الديكتاتور المستنير بمهمته يتنازل عن السلطة لما يُعرف بطبقة البروليتاريا و هى تحالف قوى الشعب العامل من أجل أن يقوموا هم بحكم أنفسهم عن طريق تقسيم و توزيع الثروات طبقًا للحاجة و المجهود و شيوع الممتلكات (و هو يعتبر هنا النساء كعنصر بشرى من ضمن الممتلكات فلا حقوق لها، و إنما هى تُشارك مثلها مثل كل الموارد و هذا هو عين الامتهان نقولها للمتشدقين بحقوق المرأة و المُدعين أن الإسلام يمتهن

كرامتها) ويتحول بعدها المجتمع إلى المجتمع الأممى المادى السعيد المستمتع بكل الثروات فى سلطة بوهيمية فردية خالصة.

وكان هذا عين ما أراده سادة الفوضى من تدمير كامل للمجتمعات و السلطات المنظمة مع استبدال فكرة اللاسلطوية لفكرة الخضوع لسلطة عالمية مادية موحدة.

ولكن تنفيذ هذا المذهب الدنيء كان يحتاج للعبة نفسية معقدة تدفع الناس دفعًا للاختيار بين أهون الشرور وليس الاختيار بين الخير و الشر.

كانت نظرية ماركس الشيوعية تعبر فقط عن نصف أهداف الحكومة العالمية و هى تدمير السلطات الحاكمة الموجودة و تحويل العوام إلى مجتمع أممى بدعوى أنهم هم من سيحكمون أنفسهم.

ولكن مع خروج هذه النظرية عام 1843م و التى كانت تتصف بأنها عالمية عامة تُعمم على كل شعوب الأرض، كانت هناك نظرية خاصة تتجهز للظهور لتُكمل الصورة القبيحة و هى خضوع كافة الأمم لسيادة أمة ملكية خاصة و العمل عندها كعبيد، فكان ظهور نظرية الدماء الملكية النازية عن طريق مُنظر ألمانى آخر هو كارل ريتر عام 1849م.

ففى عام 1849م و تأثرًا بعدد من النظريات التى تكونت عن أصل المخلوقات و نظريات لامارك و داروين البيولوجية الخاصة بمبدأ الانتخاب

الطبيعى و البقاء للأقوى خرج كارل ريتربنظريته النازية التى تُعلى من شأن الدماء الآرية الزرقاء للأمة الألمانية و تحدد أنهم أصلح الأمم لقيادة العالم و مواجهة المخطط اليهودى الساعى لنشر الشيوعية فى العالم (ويبدو أن نظرية ماركس الشيوعية قد تم الترويج لها عن طريق عدد من سادة المال اليهود أو التسريب أنهم يدعمونها و خاصة فى ألمانيا حتى يستفزوا المُنظرين الألمان المتطرفين لأمتهم و يستغلوا النعرة الألمانية العالية مع كراهيتهم لليهود و نظرتهم لهم دومًا أنهم عبيد جهنميون، فيدفعونهم لإخراج نظرية مضادة تعبر عن أسوأ ما يمكن أن تصل له الرأسمالية النخبوية و هذا ما حدث).

و قد حدد رايترفى نظريته قواعد النهضة للأمة الألمانية عن طريق القيام بإنشاء قاعدة صناعية قوية للغاية و زيادة قوة الجيوش مع محاربة المصارف التى اعتبرها على المُجمل تابعة لسادة المال اليهود و أنه يلزم ضرب تجارتهم عن طريق التوسع الاستعمارى الخارجى كما بريطانيا و فرنسا و غيرهم و العمل على التوسع فى أوروبا لتأمين مجال حيوى للإمبراطورية الألمانية تمهد لنجاح ألمانيا فى الاضطلاع بدورها كسيدة للعالم و يكون حاكمها هو الديكتاتور السلطوى الأوحد الذى يسيطر على مقدرات الأمم مع العمل على اقتلاع العرق اليهودى بالكامل من الأرض و إبادته بشكل جماعى لتوفير بيئة حياة خالية من المشاكل، (و تطورت هذه النظرية مع نيتشة لتشمل اليهود و المعاقين و المُشردين أو كل كائن ضعيف لايستطيع

الدفاع عن نفسه وهو عين مقولة البقاء للأقوى وهو ما طبقه هتلر بعد ذلك).

والمتأمل لكلتا النظريتين يجد أنهما قد اتفقتا فى عدد من القواعد أهمها: ضرورة وجود مبدأ الأممية العالمية والديكتاتور السلطوى واستخدام العنف مع التركيز بقوة على الماديات والإسراف فى الإلحاد وإنكار القوة الإلهية.

ولكن كان الخلاف فى طرق التنفيذ فبينما رأت الشيوعية أن الديكتاتور السلطوى مرحلة تتحول بعدها الأرض إلى حكم البروليتاريا الأممى ثم الشيوعى رأت النازية الديكتاتور هو غاية المشروع وهو السيطرة المستمرة من الأمة الملكية على باقى أقنان الأرض.

وبينما رأت الشيوعية إسقاط السلطات الحاكمة للأمم عن طريق الثورات الشعبية والإضطرابات الداخلية رأت النازية إسقاطها عن طريق الصدامات العسكرية المباشرة والحروب المدمرة مع ضمها عنوة إلى ممتلكات العرق الآرى المنتصر.

والمتأمل بدقة لن يجد إلا أن النظريتين هما قطعتان متكاملتان تركيبهما معًا يعطينا الاسم التالى (الأممية العالمية التابعة للنخبة الملكية).

ولكن السؤال الذى قد يدور فى خلد الكثيرين هو لماذا سعى سادة الفوضى على صياغة نظريتين تحمل كل منهما جزءً من اللغز بدلًا من صياغة نظرية واحدة مكتملة؟ ولماذا تمت صياغة النازية بالذات للأمة الألمانية وليس لأمة أخرى؟

وكانت الإجابة ببساطة تكمن فى الآتى:

-صياغة نظرية واحدة عن طريق شخص أو مجموعات أشخاص مع طرحها للعامة كانت من الممكن أن تفضح كافة مخططات سادة الفوضى، وتوجه لهم أصابع الاتهام على كل ما فات من الأحداث، خاصة أنه لم يمر وقت طويل على الثورة الفرنسية ولم تزل بعد أحداثها ساخنة وهو ما يضر بالمشروع فكان لابد من خلق نوعين منفصلين من النظريات تبدو إحداها و كأنها مضادة للأخرى فتخلق نوعًا من الانقسام و البلبلة بين المتلقين ولا يدور فى خلد أحد أن النظريتين إنما خرجتا بتشجيع من عباءة واحدة.

-إن نمو هاتين النظريتين فى البلاد المختلفة خاصة مع عوامل الأخطاء التى يرتكبها حكام هذه البلاد ستسمح لإحداها بزعزعة الجبهة الداخلية للبلاد، و إضعافها داخليًا و تعطيل أى إمكانية لمشاريع النمو فيها ما يسمح للأخرى بتسهيل الاستيلاء عليها و إسقاطها بضربة خارجية.

-مع وضع هاتين النظريتين فى موضع التنفيذ، و بيان مساوئها للجماهير ستصبح هاتان النظريتان عامل طرد كبير للجماهير التى ستسعى للفكاك

منها بأى ثمن وهنا تتلقفها اليد الحنونة الأخرى لسادة الفوضى المتنكرة فى قناع الرأس المالية الحنونة، والتى توفر على الأقل لقمة العيش مع الأمن بدلًا من الدماء المسفوحة على مذبح النظريتين الأخريين (وهنا يبرز العامل النفسى إلهام التخيير بين خيارين أحلاهما مر، فإما أن تعيش عبدًا لا تريد إلا الاستمتاع بحياتك وغير مسموح لك بالتفكير إلا كما يرى السادة، وإما أن يُهدر دمك وتتعرض لضغوط الديكتاتوريات السلطوية المرعبة وكل ذلك فى غياب قوة التطبيق البشرى للمنهج الإلهى الحكيم الذى أرسله الله مع رسله وهى لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى).

-عمليات الصدام المرعبة التى ستنشأ بين هاتين النظريتين فى مواجهة الأخرى وبين كل منهما والنظرية الرأسمالية المقنعة من ناحية أخرى وما سينشأ عنها من خسائر مروعة فى الأرواح والممتلكات ستُعمق عند جموع العامة من البشر الإحساس بعبثية خلقهم وتُزيد عنهم الشكوك فى وجود الخالق الذى من المُفترض أن يحميهم من الشرور والآلام وهو ما سيدفع كثير منهم إلى الذهاب إلى خانة الإلحاد بدلًا من إتعاب نفسهم قليلًا فى العودة إلى معياره الأصيل، وهو ما سيسهل على سادة الفوضى ترسيخ عقيدة الانحلال والمتعة المادية فى العقول والقلوب ما يجعل مهمة قيادة العوام بعد ذلك سهلة يسيرة.

-أما لماذا تم اختصاص الأمة الألمانية بالذات بتطبيق النازية فإن ذلك قد يرجع للكراهية العميقة الموجودة بين الألمان واليهود منذ العصور الوسطى حيث رأى الألمان اليهود سببًا فى العديد من الوقائع التى حدثت بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة (التى كان مقرها فى ألمانيا) وبين الدولة البابوية إبان عهد الحروب الصليبية، كما أن اليهود رأوا فى الألمان الغرور والصلف والغطرسة مع درجة عالية من الاعتزاز بالنفس والقدرة على العمل والإنتاج وهو ما شكل تهديدًا خطيرًا لمصالحهم خاصة أن أكثر من مؤامرة خاصة بهم كادت أن تفشل نتيجة تدخل العنصر الألمانى وهو ما استلزم ليس إسقاط العرش الألمانى وحسب بل تركيع الأمة الألمانية بكامل عناصرها، ولهذا دخلوا لهم من باب مبدأ البالون (أى نفخ وتعظيم النعرة الداخلية للأمة الألمانية والسماح لهم بتحقير العنصر اليهودى واختراق حتى تصل لحد الصدام مع الجيران الأقوياء المتفوقين وهنا يحدث الصدام والانفجار التام).

-كما أن استغلال عنصر الكراهية الألمانية لليهود وتعظيمهم للعرق الآرى على حساب العرق السامى (وهو اعتقاد نفسى أن كل اليهود ساميين وهو ما كان مخالفًا للواقع فأكثر من 80% من اليهود كانوا من الفئة الخزرية التركية والتى عُرفت بيهود اليديشة) وما سيستتبعه ذلك من اضطهاد ومجازر لأعداد من اليهود ستوفر لليهود بيئة صالحة وغطاء مثالى لإتمام الدعوة الصهيونية اليهودية بالعودة لأرض فلسطين وهو ما سيوفر حلًا

جذريًا إلى حد كبير لليهود اليديشة البولنديين الّذين اجتاحوا أوروبا بأعداد غفيرة عقب التقسيم البولندى الثالث عام 1795م و شكلوا مصدر إزعاج لليهود النخبويين و مؤامراتهم الخاصة للسيطرة على العالم نتيجة طباعهم السيئة و أعمالهم الإجرامية (فكثير منه كانوا يشكلون جماعات عسكرية و مُرتزقة فى البلاط البولندى) خاصة مع إتصالهم و نجاحهم فى اختراق عدد من المنظمات الإجرامية فى أوروبا و الصعود فيها كمحاسبين و مخططين لأعمال المجرمين المالية (و من أشهرها منظمة الأكوزا نوسترا أو المافيا الصقلية).

و لقد شجع على إذكاء نار العداوة بين النظريتين أن التسويق لنظرية ماركس أول ما بدأ من فرنسا (صاحبة ثانى عملية تطبيقية للقيم الشيوعية) عن طريق العديد من الصحف الإعلامية المختلفة و التى يبدو أنه تقرر اتخاذ فرنسا (و التى ظلت تتخبط فى نظامها السياسى منذ قيام الثورة الفرنسية من جمهورية لإمبراطورية لملكية دستورية ثم إمبراطورية ثانية ثم جمهورية حتى الاستقرار الأخير عام 1945م أى أن التحول الثورى استغرق ما يقرب من 145 عامًا للوصول لنظام سياسى مستقر و هذه رسالة لمن يقولون بحتمية جني ثمار التغييرات حالًا) كمركز للتمدد الشيوعى فى أوروبا، أسبانيا، سويسرا و بلجيكا و إنجلترا التى كان ماركس رشحها لتكون الموضع الأمثل للتجربة الشيوعية (إلا أن مسارات الأحداث تطلبت معها تغيير الاتجاه نحو الشرق الروسى بدلًا من ذلك).

و أما النظرية النازية فقد تم التسويق لها داخل ألمانيا بدعوات تمجيد العنصر الألمانى منذ نشوء اتحاد الرايخ الثانى عام 1848م و تقويته على يد المستشار الحديدى (أوتو فون بسمارك).

و لعلنا هنا نستطيع أن نرى كيف استغل سادة الفوضى للمبادئ العلمية و النظريات الفلسفية التى تُخاطب العقول لترقيتها و إسعادها و حولوها إلى أمساخ مشوهة عن طريق آلاتهم الإعلامية الضخمة و ثرواتهم الكبيرة للتجهيز لإثارة النعرات و العداوات داخل بلاد العالم منتزعين بذلك الشعرة بين العلم المجرد الذى يرقى بالإنسان و تحويله إلى أهواء منحرفة تشوه الكيان الإنسانى لخدمة مصالحهم.

و مع بذر نواة هاتين النظريتين عكفت جماعة من سادة الفوضى على إنضاج هذا اللغم و تجهيزه للانفجار، بينما انصرفت جماعة أخرى إلى المشرق لتمكين السيطرة على الخصم الأكثر صعوبة و خطرًا على منهجهم الفوضوى و هو الإسلام، فتم وضع خطتين الأولى لإحكام السيطرة على الصين و الهند و اليابان، و الثانية لضرب الملكية الروسية و العثمانية فى نفس الوقت تقريبا .

اعتمدت خطة سادة الفوضى فى هذه العملية على استراتيجية أشبه ما تكون بهجوم أفعى سامة ضخمة تلتف بجسدها على الشرق الاوسط و الأقصى لتعصره بقوة ساحقة أوصاله و يرتكز رأسها على الشمال الروسى

لتفرغ فيه سمها الزعاف ويتسرب سمها منه إلى داخل المشرق الإسلامى ليزيد من معاناته و إهلاكه بشكل كامل.

عملية الأصلة السامة:

بداية دعونا نتعرف على ملابسات الوضع العام لكلا الملكيتين الروسية و العثمانية قبل عرض خطة سادة الفوضى.

منذ بدايات القرن التاسع الميلادى كانت القبائل التركية هى العنصر المسيطر على مناطق آسيا الصغرى و الأناضول وحتى منطقة بحر قزوين التى كانت خاضعة لسيطرة الخزر اليهود (فالخزر فى الأساس أيضا يُعتبرون عنصر تركى) بينما نزح الروس أساسًا من بلاد الفايكنج السويدية الإسكندنافية وسريعًا ما اختلطوا بالقوميات السلافية من بلغار و صرب و رومانيين حتى أصبحوا جزءًا لا ينفصل عن القوميات السلافية و أسسوا فى المنطقة الممتدة بين أوكرانيا وروسيا إمارة قوية معروفة بإمراة روس كييف.

و مع تحول العنصر التركى فى أغلبه إلى الإسلام و ظهوره فى العصر العباسى و تحوله لعنصر صدام مستمر مع البيزنطيين الأرثوذكس، قام البيزنطيين بالعمل على نشر الأرثوذكسية بين القوميات السلافية و شكلوا مع إمارة روس كييف تحالفًا امتد حتى سقوطها عام 1452م على يد العثمانيين و

بذلك ورث الروس المسيحيين جذور الصراع مع العنصر التركى بشكل خاص و مع الإسلام بشكل عام خاصة مع انتقال المركز الأسقفى الأرثوذكسى إلى روسيا لتصبح هى راعية الأرثوذكسية الرومانية القديمة.

وزاد من كراهية الروس للعنصر التركى بشكل خاص الهجوم الكاسح الذى تعرضت له إمارة روس كييف على يد المغول (الذين يشكلون جزءًا من العناصر التركية الأسيوية) إبان الاكتساح المغولى العالمى عام 1250م و الذى ظلت معه الإمارات السلافية المختلفة و من ضمنها الروس ترزح تحت حكمه حتى عام 1405م فى عهد دولة خانية القرم التترية.

و مع تحول دولة خانية القرم التترية إلى الإسلام أصبح العداء الروسى لها عداءً مزدوجًا فهم أتراك من ناحية و من ناحية أخرى مسلمون فكان أن أصبح التربص الروسى بالعنصر التركى أمرًا حتميًا موروثًا حتى حانت الفرصة التى نجح معها الروس فى شن هجوم كبير على دولة

القرم المسلمة على يد إيفان الرابع الرهيب و الذى نتج عنه سقوط دولة القرم و حلول القيصرية الروسية الأرثذوكسية مكانها .

وكان من الطبيعى نتيجة الاعتداء الروسى على دولة القرم أن يضع ذلك الدولة العثمانية التى كانت فى أوج قوتها فى ذلك الوقت فى حالة عداء شديد مع القيصرية الروسية.

فالعداء هنا إذًا يحمل طابعين أساسيين أولهما عرقى متمثل فى الصدام بين قومية سلافية (مُمثلة فى الروس) تبسط سيطرتها على قومية تركية (هم التتر) فى مواجهة قومية تركية (مُمثلة فى العثمانيين) تبسط سيطرتها على مجموعة من القوميات السلافية (هم الصرب و البلغار).

و ثانيهما دينى يعزز الطابع الأول و يزيده و هو الأسلوب السيئ فى معاملة المسلمين التتار من جانب الروس، بينما العثمانيين باسطى أجنحتهم على أقاليم ترانسلفانيا و بلغاريا و البلقان و حتى اليونان المسيحية بالإضافة للأرمن (الذين سيكون لهم دورًا كبيرًا فى العملية الفوضوية) و يدعمون بقوة المقاومة الإسلامية فى القرم ضد القياصرة الروس.

و عليه فقد شكل القرنين الخامس عشر و السادس عشر صعود قوى لتلك الإمبراطوريتين فى السماء الأوروبية فروسيا القيصرية تحت حكم أسرة رومانوف امتدت حدودها من فنلندا الإسكندنافية حتى عبرت المحيط الأطلنطى إلى ألاسكا فى أمريكا الشمالية و حتى حدود دولة الصفويين الفارسية فى بحر قزوين جنوبًا و لم يصدها إلا الوجود العثمانى القوى.

و الدولة العثمانية منذ نجاحها فى فتح القسطنطينية و تحويلها إلى عاصمة الدولة العثمانية مع توسعها الأوروبى حتى أصبحت على أبواب النمسا و استولت على نصف حوض البحر المتوسط و ضمت داخلها أقاليم القلب الإسلامى الأربعة (مصر و الشام و العراق و الحجاز) و شكلت تحالفًا مع

دولة المغاربة السعدية فى المغرب العربى أصبحت رمزًا لدولة الخلافة الإسلامية و خطرًا لو تم تركه فمن المؤكد أنه يمكن معه إحياء العدو الأصيل للفوضى و هو منهج الإسلام النظامى القويم.

فكانت الخطة الفوضوية تعتمد على استغلال حالة العداء القوية بين الدولتين فى إدخالهم فى صدامات منهكة و تحالفات مستمرة مع المصالح الدولية المختلفة (الخاضعة فى الأساس لسادة الفوضى الشبحيين) مع معارك جانبية و اضطرابات داخلية تدفع بهم إلى حافة الهاوية فى وقت متزامن تقريبا.

و إلى عرض الخطة:

المرحلة الأولى الالتفاف و الإلهاء:

كانت هذه المرحلة موجهة فى الأساس إلى الدولة العثمانية القوية و بدأت مع عصر الكشوفات الجغرافية فى القرن الخامس عشر الميلادى عندما انطلقت سفن الأسبان و البرتغاليين لتكتشف العالم الجديد و تلتف حول القارة الإفريقية و تؤسس المستعمرات الجديدة حتى الوصول للهند و الصين، و لدعم حركة الالتفاف الواسعة التى قام بها المستعمرون الجدد اعتمدت الشبكة الفوضوية على عاملين مهمين:

-الأول: الجاليات اليهودية التى طُردت من أسبانيا و البرتغال الّذين تم توجيه قسم كبير منهم عبر إيطاليا إلى أقاليم القلب الإسلامية فى مصر و الشام و تركز جزء كبير منهم فى سالونيك القريبة من إسطنبول مع إدعاء جماعات كبيرة منهم بالتحول إلى الإسلام (و هم المعروفون باليهود الدونمة أو المتحولين و من أشهرهم كمال أتاتورك) إضافة إلى الموجودين أصلا منذ عهد الدولة الإسلامية الأولى فى أقطار المسلمين و شكلت كل هذه الجموع شبكات تجارية و سياسية قوية داخل الدولة العثمانية استغلت مبدأ التسامح الإسلامى تجاه اليهود الّذين تم اعتبارهم ضحايا للوحشية الصليبية و تم دمجهم فى المجتمع الإسلامى و سريعًا نمت تجاراتهم إثر نجاحهم فى الحصول على العديد من الامتيازات السلطانية فى التجارة مع دول أوروبا المختلفة(و عملوا فى نفس الوقت كجواسيس يقومون بتجميع المعلومات و إرسالها إلى المراكز الرئيسية فى أوروبا)

-الثانى: كان عنصر القرصنة البحرية و الإرهاب المتمثل فى حلفائهم من تنظيمات الفرسان الصليبية التى عمدت إلى الهجوم المستمر على السفن المسلمة و تعطيل حركة التجارة البحرية للمسلمين فى البحرين المتوسط و الأحمر عن طريق فرسان الإسبتارية فى رودس و قبرص و مالطة (و الّذين تم تغيير اسمهم ليصبح فرسان القديس يوحنا ثم فرسان مالطة و هو اسمهم الحالى) و منظمة فرسان المسيح (الاسم الجديد لفرسان المعبد فى البرتغال)

التى دأبت على الهجوم على سفن المسلمين فى المحيط الهندى و الهجوم على مدن المسلمين فى سواحل الهند.

وفى نفس الوقت اعتمد سادة الفوضى على اختراق القصر السلطانى داخليًا و إثارة القلاقل فيه عن طريق مؤامرات الحريم (و من أشهر تلك المؤامرات اختراق القصر السلطانى عن طريق الجارية الروسية روكسلانا و التى يزعم بعض المؤرخين أنها ذات أصل يهودى إلا أن هذا الزعم مشكوك فى صحته، و قد نجحت فى اجتذاب السلطان سليمان القانونى أشهر سلاطين الدولة العثمانية و تزوجته بعد تحولها للإسلام و سُميت خُريم سلطان و لقد نجحت هذه المرأة فى الإيقاع بين السلطان وولى عهده مصطفى المحبوب فى الدولة العثمانية حتى قتله بعد دسائسها عليه، و جعلت ولاية العهد فى ابنها غير الكفء سليم الثانى كما تسببت فى قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا و أحلت محله رستم باشا الكرواتى صاحب العرق السلافى ووضعت بذلك الأساس لزعزعة الدولة إداريًا من الداخل عقب وفاة السلطان سليمان).

و قد أسهم فى تسهيل عملية الالتفاف و الالهاء ثلاث عوامل مهمة:
-الأول: أن العثمانيين على حماسهم للفتوحات لم يعملوا على ترسيخ و نشر الإسلام فى نفوس البلاد المفتوحة، ولم يكن لهم نشاطًا دعويًا قويًا في وسط القوميات السلافية فى مواجهة التبشيريات المسيحية، بل أنهم فى

كثير من الأحيان كانوا متسامحين لدرجة السماح لحكام من أعدائهم الصليبيين بالاستمرار فى حكم بلادهم ماداموا يلتزمون بالمعاهدات بينهم و هم هنا لم يفطنوا لقول الله تعالى (كيف و إن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا و لا ذمة يرضونكم بأفواههم و تأبى قلوبهم) فكان ذلك من عدم الفطنة الإدارية من جانب العثمانيين

-و الثانى: هو أن العثمانيين اعتمدوا فى تكوين نواتهم العسكرية النخبوية على مجموعة من أبناء النصارى الصغار الّذين كانت تتم أسرهم و تعليمهم الإسلام و فنون الحرب ليكبروا على الولاء للسلطان كمماليك له و تم تسميتهم بالإنكشارية و قد أبلت هذه النخبة بلاءً عظيمًا فى فترات قوة السلطنة إلا أن العثمانيين أيضًا لم يفطنوا، إلا أنه قد يكون من بين هؤلاء من يحمل فى نفسه ضغينة تنمو مع الأيام لتصبح عاملًا حارقًا لهذه المنظومة يتسلل منها أعداء السلطنة (و قد كان؛ حيث إن الانكشارية أصبحوا مركز قوة و عامل من عوامل انهيار الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر).

-أما الثالث: فكان ابتعاد العثمانيين النسبى عن توطيد الأواصر ببلاد الإسلام الأولى و أهمها أقاليم القلب الأربعة حيث ظلت التركية هى اللغة الأولى و التركيز منصب على الوجهة الأوروبية مع ترك حكم الملعب الخلفى للدولة فى يد المماليك أو الولاة بعد ذلك و هو ما سمح للكثير من الولاة برفع

راية العصيان ضد الدولة مع أول بوادر الضعف فى القرن الثامن عشر، كما سمحت بالتغلغل الأوروبى فيها عن طريق مراكز التجارة اليهودية و الجاليات المنتشرة فيها و التى عمدت إلى إثارة الفتن و مساعدة المستعمرين فى اللحظات الحاسمة و لم يفطن حكام الدولة العثمانية إلى أهمية هذه الأقاليم إلا متأخرًا بعد أن أصبحت الدولة فى حالة شديدة من الوهن لم تمكنها من استعادة السيطرة عليها.

و لقد استمرت عملية الالتفاف و التموضع و نشر الأذناب السامة فى النقاط القاتلة للدولة حتى منتصف القرن الثامن عشر تقريبًا و من بعدها بدأت مرحلة الاعتصار.

المرحلة الثانية الاعتصار و تشديد القبضة:

من الضرورى قبل عرض مرحلة الاعتصار التأكيد على أن سادة الفوضى حرصوا فى أغلب أعمالهم على البقاء بالصورة الشبحية الطفيلية، فهم ينتهجون نهجًا أشبه بديدان العصائب الخضراء الطفيلية التى تسيطر على أدمغة الحلزونات و تدفعها لتنفيذ أوامرها و عند انتهاء حاجتها منها تنتقل إلى جسد عائل آخر و هكذا وبالتالى فهم يقومون بتنفيذ أغلب أعمالهم عن طريق أشخاص آخرين ممن يخضعون لسلطانهم المالى أو سمومهم العقلية، أما فى حالة احتدام الأمر و فشل محاولة تحريك الأطراف الموجودة تحت سيطرتهم فإنهم يلجأون لأسلوبهم التقليدى

القديم الخاص بعمليات التصفية الجسدية و الاغتيالات (فكما ذكرنا سابقا كان اليهود من أقدم الجماعات التى عرفت سياسة الاغتيالات و التصفية عن طريق منظمة حملة الخناجر السيكارى القديمة أيام الرومان) و فى تلك الحالة كانوا يلجأون فى الأغلب إلى جماعات ممن كانت تشكل النخبة العسكرية البولندية فى يهود اليديشة الخزرية(تطورت هذه المقدرة خلال القرنين التاسع عشر و العشرين عن طريق أعوانهم فى جماعات الجريمة المنظمة و التى أصبحت مع الوقت أحد دعائم الفكر الصهيونى اليهودى، بل و أحد أبرع أجهزتهم فى الموساد).

مع وفاة السلطان سليمان القانونى فى أواخر القرن السادس عشر بدأت قبضة الدولة العثمانية فى التراخى على مناطق نفوذها فى أوروبا و إن ظلت قوية إلى حد ما لمواجهة القيصرية الروسية طوال القرن السابع عشر.

و فى خلال تلك الفترة التى امتدت لما يقرب من قرن اكتفى سادة الفوضى بعمل دور المراقب و العمل على تأجيج حالة العداء بشكل خفى فى كل من البلاطين الروسى و العثمانى خاصة مع السعى الروسى المحموم للوصول للمياه الدافئة للبحر المتوسط و قيام الدولة العثمانية بدعم خانية القرم التترية إضافة إلى دعم المقاومة الإسلامية الشيشانية ضد القوات القيصرية الروسية و هو ما أبقى كلتا الدولتين فى حالة عداء مستمر مشتعل طوال القرن الثامن عشر.

مع دخول الربع الثالث من القرن الثامن عشر وحتى الربع الثالث من القرن التاسع عشر بدأت أفعى الفوضى العالمية فى اعتصار العالم من حول هاتين الملكيتين على النحو التالى:

-تمديد الأسطول البريطانى لمناطق نفوذه داخل المحيط الهندى والتى رفعها بدعوى حماية التجارة العالمية من القرصنة الأسبانية والبرتغالية (وهو بالتأكيد عذرواه ولكنه مقبول للكثير من العامة والذى أعطى لبريطانيا فرصة فرض وصاية على الخليج العربى وقبائله والتى بدأت بتوقيعه إتفاقية مع سلطنة عمان عام 1798م أعطته فيها حرية التجارة فى مناطق الخليج العربى محل القراصنة البرتغاليين (دخلت إنجلترا إلى الخليج من باب التجارة وليس من باب التبشير والقرصنة كما فعل البرتغاليين فتم اعتبارهم أصدقاء) وجعلته مركزًا مهمًا وقاعدة عمليات للتمدد داخل الهند عن طريق شركة الهند الشرقية الإنجليزية ومنها بسطت سيطرة تجارية على كامل الساحل العمانى فى وقتها (والضم عمان والإمارات والبحرين وقطر وحتى الكويت)، وعقدت معهم معاهدات تجارية لصالحها عام 1820م كما أتمت احتلال عدن عام 1839م.

-تعزيز قوة شركة الهند الشرقية الإنجليزية فى الهند عن طريق احتكارها لأغلب تجارة الهند من التوابل والشاى والأقطان وغيرها بالإضافة لتأجيج الصراعات بين حكام المقاطعات الهندية الراغبين فى الثورة على

سلطة السلطان الهندى المسلم و إشعال نار الفوضى بين الهندوس و المسلمين مع محاولة نشر بعثات تبشيرية مسيحية داخل الهند و التى انتهت بإخضاع الهند للسيطرة البريطانية عام 1858م عن طريق المتآمرين المتحالفين معهم من حكام الهند الداخليين (الخيانة هنا تلعب الدور الأعظم فى إسقاط السلطة الإسلامية فى الهند إضافة إلى ضعف قبضة السلطان الهندى مع تزويد البريطانيين للحكام المنقلبين بأسلحة حديثة متطورة و دعمهم بالأسطول البريطانى القوى).

-ترافق مع السيطرة الإنجليزية على الهند نشاط شركة الهند الشرقية فى محاولة قلب الميزان التجارى الصينى لصالحها عن طريق السيطرة على عدد من المقاطعات فى الصين و التوسع فى زراعة و تجارة الأفيون للشعب الصينى (و طبعا بما أن الأفيون يسبب الإدمان فإن عامل استهلاكه سيزيد بكثرة ما يدفع الميزان التجارى لصالح بريطانيا) و مع محاولة الإمبراطور الصينى الاعتراض على هذه التجارة المدمرة لشعبه أعلنت إنجلترا الحرب على الصين فيما عُرف بسلسلة حروب الأفيون بداية من عام 1840 و التى استمرت حتى عام 1911م و التى استغلت فيها القوى الفوضوية أساطيل إنجلترا و فرنسا (و دخلت معهم روسيا الطامعة فى أى توسع) فى إجبار الإمبراطور الصينى الضعيف على القبول بسلسلة من الشروط المذلة للصين، و من أهمها استمرار العمل على تصدير الأفيون للصينيين (و الّذين ارتفع عدد مدمنيهم من 2 مليون مدمن عام 1850م إلى 120 مليون

مدمن عام 1878م) إضافة إلى فتح موانئ الصين دون قيد أو شرط للأساطيل الأجنبية لهذه الدول مع إرسال البعثات التبشيرية المسيحية للصين بالقوة (وهذه العملية بالذات هدفت إلى إضعاف العقيدة و التواجد الإسلامى فى الهند و الصين فحتى هذا الوقت كان للإسلام شعبية كبيرة فى كل من الهند و الصين حتى بعد التواجد المغولى) (وتأمل معى هنا عزيزى القارئ الدول التى تعتبر نفسها ديموقراطية اليوم وتسعى للحد من خطر المخدرات كانت هى من ساعدت على نشره تحت تأثير أفعى الفوضى المُتربحة من هذه التجارة المُحرمة) كما تنازلت الصين عن هونج كونج لبريطانيا (والتى نشطت فيها بعد ذلك مافيا الجريمة المنظمة الصينية الترايادا بدعم من المافيا الحمراء اليهودية الروسية) إضافة إلى أقاليم بورما و سنغافورة التى كان يقطنها آلاف المسلمين (الّذين يُعانون من الاضطهاد حتى اليوم).

-مع بدايات القرن التاسع عشر تم استدراج كل من الملكيتين العثمانية و الروسية للصدام مع نابليون فى الشام (عام 1800م) و أوروبا (عام 1812م) (والذى كان من ناحية بمثابة جس لنبض القوى العسكرية لهذه الملكيات و من ناحية أخرى كان إجهادًا لقواتهم وتشتيتًا لها استعدادًا للصدام بها فى اللحظة المناسبة .(

-منذ عام 1830م نجح الفرنسيين فى احتلال تونس و الجزائر و أجزاء من المغرب مع نجاح إنجلترا أيضا فى احتلال طنجة و مضيق جبل طارق و هو ما قوض أحد أهم حلفاء الدولة العثمانية فى بلاد المسلمين و هى الدولة السعدية فى المغرب العربى.

-أما عن أقاليم القلب الأربعة (مصر و الشام و العراق و الحجاز) فقد بدأت محاولات الأفعى الفوضوية فى نزعهم من يد الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثامن عشر و التى بدأت بمحاولة على بك الكبير فى الانفصال عن الدولة العثمانية عام 1769م و التى عمل خلالها على بسط سيطرته على مصر و الشام و الحجاز (ثلاثة من أصل أربعة) و عمل على مكاتبة كاثرين الثانية إمبراطورة روسيا الديكتاتورية بهدف مساعدتها فى الحرب على العثمانيين فى مقابل تقديم العون له بالأسلحة الحديثة و العتاد .

كما عملت القوى الاستعمارية على استغلال الامتيازات التى منحها السلطان للأجانب كنوع من الحرية و التسامح الإسلامى و التى كان من أهمها رعاية مصالح الطوائف المسيحية فى أراضى الشام (و التى تحتوى على بيت المقدس) و تطورت لنوع من التدخل فى شئون الشام الداخلية فى حالة حدوث أى نوع من النزاعات بين المسلمين و المسيحيين (مع العمل على تأجيجها باستمرار) كرعاة لكنائس المسيحيين فى الشرق (و هو نوع من الحملات الصليبية بشكل سياسى مقنع).

هذا بالإضافة لاستغلال المنازعات بين حكام المدن الشامية المختلفة و عشائر السنة و الروافض الباطنية الإسماعيلية (الحلفاء القدامى للصليبيين) و الدروز في إثارة الفوضى الأمنية في ربوع الشام.

و في مصر نشط الفوضويون في استغلال طموحات الوالي محمد علي و شغفه في بناء دولة قوية حديثة في الحصول على المزيد من الامتيازات الأجنبية لرعاياهم و استقدام المئات من العائلات اليهودية إلى مصر حيث نشطوا كشبكة تجارية قوية مع زملائهم في أوروبا كما عملوا على محاولات طمس الثقافة الإسلامية في مواجهة المد الفكري العلماني الجديد (وكان من أشهر محاولاتهم إحلال العمل بالقوانين المدنية الفرنسية محل الشريعة الإسلامية و التي تكللت بالنجاح في عهد الخديوي إسماعيل).

كما تم استغلال قوة محمد علي العسكرية الجديدة في ضرب الدعوة السلفية الإصلاحية التي نشطت في جزيرة العرب (و التي انشأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت تحارب الوثنيات المنتشرة في ذلك الوقت في جزيرة العرب من تبرك بالقبور و نذر النذور لهم و انتشار السلب و النهب و قطع الطرق إضافة إلى تفشي الجهل في القبائل العربية و هو ما أحنق عليه الكثيرون من المنتفعين من هذه المظاهر و سعوا له بالوشاية عند السلطان العثماني و الذي كان في هذا الوقت في حالة من الانغماس الذاتي في نفس الملاهي فكادوا له بالسعي على الخروج عن السلطان وكان من أكثر

أصحاب الوشايات من يهود البلاط الّذين استشعروا الخطر فى أى دعوة إصلاحية لعقيدة الإسلام) وعلى إثر ذلك تم توجيه محمد على الطامح للتوسع لقمع الحركة السلفية ونجح فى ذلك عسكريًا (وإن ترك أثرها نفسيًا فى قلب القبائل التى وجدت إخوتها فى الدين يحاربونها من أجل الفاسدين وهو ما أدى بعد ذلك إلى استعانة نفس القبائل بالإنجليز فى التآمر على الدولة العثمانية نفسها فى الحرب العالمية الأولى).

ملحوظة مهمة: إن القمع الذى يأتى من الأخ يكون وقعه فى النفوس أشد بكثير من قمع العدو الغريب ويعمل بشكل أقوى على تقوية وتشجيع الانحراف فى التعامل بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة وهو ما سنراه فى القرن العشرين.

ومع تعاظم سلطان محمد على وأطماعه فى التوسع تم استدراجه لمواجهات مع الدولة العثمانية نفسها ساهمت بشكل كبير فى إضعاف قوة الدولة العثمانية العسكرية التى استنجدت بالدول الغربية على محمد على فتم تدمير جيشه وأسطوله عام 1840م والقضاء على كافة طموحاته التوسعية وحصرها فقط فى داخل القطر المصرى ووفرت للدول الأوروبية ذريعة قوية بعد ذلك للتدخل فى الشئون المصرية بدعوى نصرة السلطان العثمانى الصديق.

(كان النصف الأول من القرن التاسع عشر مرحلة ممتدة من الأخطاء من جانب المسلمين اعتمادًا على توقف حركة البحث والتطوير والتجديد لديهم فى كل شيء، وأهمها البحث الدينى والتى توقفت تقريبا منذ عهد المغول وفى الجانب لآخر كان سادة الفوضى يتربصون بكل خطأ ويحسنون استغلاله ويجيدون قراءة التاريخ وتوظيف العداوات القديمة لخلق الاضطرابات فى مناطق النفوذ العثمانى، ولعل أبلغ مثال على ذلك تحالفهم مع الدولة الصفوية الشيعية إحياءً للحلف الفارسى القديم فى سبيل بسط السيطرة على الخليج وخلق اضطرابات فى العراق).

ومع دخول الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بدأت رأس الأفعى الفوضوية فى التجهيز لضربة السم المميت.

المرحلة الثالثة ضربة السم المميت:

تشكلت مرحلة ضربة السم المميت نتيجة لمجموعة من الأحداث بدأت بحرب القرم الأولى عام 1856م.

-خلال حرب القرم الأولى استغل سادة الفوضى فرصة إفصاح القيصر نيقولا الأول عن نواياه للتاج البريطانى فى محاولة لاستجلاب مساعدتهم على هزيمة العثمانيين، وقاموا بالتحالف سرًا مع العثمانيين إضافة إلى الفرنسيين بهدف توجيه ضربة موجعة لروسيا القيصرية (وكان هذا دأبهم طوال القرن التاسع عشر فكلما تعاظمت قوة إحدى الملكيتين تحالف

سادة الفوضى مع القوة الأخرى لقلب الكفة و إنهاك الطرف الآخر) فكانت النتيجة هزيمة روسيا فى تلك المعركة، ولكن بعد أن قامت بعدة مذابح فى القرى العثمانية فى القرم و بلغاريا و أرمينيا عن طريق تحريض العصابات الأرمينية و البلغارية على مهاجمة المدنيين العثمانيين و هى العصابات التى لطالما عملت كطابور خامس للروس داخل الدولة العثمانية على اعتبار مناصرتها كراعية للمسيحيين الأرثوذكس و لأطماعهم فى حكم الإقليم الأرمينى ذاتيًا(كانت هذه بداية الاستفزاز الأرمينى للدولة العثمانية).

-كرد فعل على الهجوم الإنجليزى الفرنسى قام القيصر الروسى بتقديم يد العون لجيش الاتحاد الفيدرالى الأمريكى فى مواجهة جيش الكونفيدرالية الجنوبى إبان الحرب الأهلية الأمريكية عام 1861م (والتى اندلعت كمحاولة من سادة الفوضى للسيطرة على النظام المالى الأمريكى خاصة بعد رفض حكومة أندرو جاكسون التجديد لبنكهم الخاص عام 1836م بامتياز إصدار الأوراق المالية و شكلوا دعمًا استشاريًا و ماليًا لجيفرسون ديفيس قائد المتمردين، كما ساندوه سرًا فى قضية تحرير العبيد حيث كانت أهواءهم فى الإبقاء على العبيد السود على تلك الحالة كنوع من التمييز العنصرى بينهم كنخبة و بين السود كعبيد، و هذا سيشكل ملامح دعم اليهود دومًا للبيض على حساب السود فى أمريكا ولكن كل ذلك سرًا بالتأكيد كما أوعزوا إلى إنجلترا و فرنسا بمحاولة إرسال أساطيلهم لدعم الكونفيدرالية، كما راسلوا نابليون الثالث لإرسال قوات برية عن طريق

المكسيك إلا أن التدخل الحربى الروسى أحبط تلك المحاولة وساهم فى تدعيم موقف لينكولن حتى انتصاره عام 1865م وراح ضحية هذه الحرب التى أشعلوها ما يقرب من ثلاثة أرباع مليون نسمة) وكرد فعل انتقامى على نصر لينكولن الذى كان يرفض التعامل مع هؤلاء الحفنة من المتآمرين والذى عطل مشروعهم الفوضوى تمت تصفيته جسديًا عام 1865م بعد خمسة أيام فقط من انتصاره على يد جون ويلكس بوث أحد أتباع الكونفيدرالية (نتج عن هذه الحرب تعطيل مشروعهم فى السيطرة المالية على النظام النقدى الأمريكى حتى عام 1907م).

-وبما أن الملكية الروسية بالنسبة لهم قد أضحت خطيرة على مشروعهم فقد تقرر العمل على اتباع سياسة تطويق من ثلاث محاور على هذه الملكية كانت كالتالى:

•أولها تعزيز العداء بينها وبين اتحاد الرايخ الألمانى الصاعد بقوة فى السماء والساعى بشدة إلى إثبات نفسه على الساحة الأوروبية والذى بُذرت معه أول معالم العرقية الألمانية على يد المستشار الحديدى أوتو فون بسمارك و الذى استطاع التخلص من التبعية النمساوية عقب هزيمته لها فى معركة سدوا عام 1866م وأجبرها على معاملة الرايخ معاملة الند وليس التابع و عمل هذا المستشار على التقارب مع الدولة العثمانية خاصة بعد حرب

القرم الثانية ما زاد الهوة بين الرايخ وبين روسيا (كانت هذه بوادر الانشقاق العالمى الذى سبق الحرب العالمية الأولى).

•كان ثانيها: هو تقديم الدعم لملكية اليابان الصاعدة فى الشرق، والتى تم فتح علاقات قسرية معها منذ عام 1858م وتم تقديم الدعم للساعين لإعادة الإمبراطور اليابانى إلى الحكم الفعلى على حساب حكم شوغونات الساموراى، وتم تقديم مساعدات مالية كبيرة عن طريق شركة كوهين و لاوب التى تزعمها أحد أكبر معاونى سادة الفوضى فى الولايات المتحدة وهو المدعو يعقوب شيف إلى أوكوبو توشيمتشى زعيم النبلاء الكبار الثلاثة فى حكومة ميجى الإمبراطورية بهدف تقوية اليابان فى الشرق وجعلها تشكل تهديدًا قويًا للجناح الشرقى للقيصرية الروسية.

•وأما المحور الثالث: فكان استخدام الجماعات اليهودية الروسية و البولندية إضافة إلى كل من يمكن شراؤه بالمال داخل روسيا من أجل خلق اضطرابات داخلية داخل روسيا عن طريق القيام بمجموعة من العمليات الإرهابية داخل روسيا خاصة مع استغلال سياسة نيقولا الأول القمعية التى ولدت إحساس عارم بالثورة داخل روسيا، إضافة إلى البدء فى عملية تصفية القياصرة جسديًا (سياسة الاغتيالات الناجحة لديهم)، والتى كان من ضحايها نيقولا الأول الذى تم تسميمه عن طريقه جهازه الطبى عام 1855م ثم اغتيال ألكساندر الثانى بقنبلة يدوية عام 1881م.

-تم إخضاع مصر للسيطرة المالية لإنجلترا و فرنسا و من ورائهم من شبكة المرابين العالميين كنتيجة للسياسة المالية غير الرشيدة التى اتبعها كلا من سعيد باشا و إسماعيل باشا و خاصة من الأخير الذى أنهك الميزانية المالية المصرية بإسرافه و بذخه على الحاشية من حوله (على الرغم من أنه أيضا اهتم بالبنية التحتية للدولة إلا أنه أنفق الملايين على مظهريات فارغة و لعل حفل افتتاح قناة السويس كان من أشهر ملامح ذلك البذخ). و عندما حاول إسماعيل تعديل سياسته إلى منهج أكثر رشدًا عن طريق التخفيف عن المصريين المعانين من السخرة فى حفر قناة السويس و حفظ حق مصر فيها إضافة إلى تخفيف الأعباء المالية عن الخزانة المصرية و دخل على إثر ذلك فى مصادمات ديبلوماسية مع إنجلترا و فرنسا انتهت بعرض أسهم مصر فى قناة السويس للبيع و التى اشترتها عائلة الدرع الأحمر (روثتشايلد) لحساب انجلترا بدعم من رئيس وزراء إنجلترا اليهودى بنيامين ديزرائيلى، (و الذى كان يُعتبر المستشار الخاص للملكة فيكتوريا) ثم سعوا للإطاحة به عند السلطان العثمانى و نجحوا فى ذلك عام 1879م و أحلوا محله الخديوى توفيق الذى كان خادمًا مطيعًا للاستعمار الإنجليزى لمصر عام 1882م.

-منذ عام 1870م بدأت أفعى الفوضى فى التسريع من وتيرة نشر سمومها داخل الوسط الأوروبى، و تمهيد العالم لعملية تفجير الألغام الفكرية و

السياسية التى تم زرعها على مدار القرنين الثامن عشر و التاسع عشر على النحو التالى:

•استدراج فرنسا للصدام الإقليمى مع اتحاد الرايخ الألمانى فيما عُرف بالحرب الفرنسية البروسية عام 1870م و التى نتج عنها هزيمة ساحقة لفرنسا خسرت معها الألزاس و اللورين لصالح الرايخ الألمانى و تمت الإطاحة بنابليون الثالث من عرش فرنسا الإمبراطورى و انتهت معه الجمهورية الثانية و دومًا هى عادة سادة الفوضى بالتخلص من أتباعهم من الأمم الأخرى عقب انتهاء مهمتهم (ترسخ بذلك عداء شديد بين الفرنسيين و الألمان ما سهل الصدام خلال الحرب العالمية الأولى.(

•إثارة القلاقل بشكل مستمر فى أراضى الصرب و البلغار و المناطق ذات الغالبية الأرمينية و التى أنشأت عصابات مسلحة داخل أراضى الدولة العثمانية، و عمدت إلى إحراق قرى العثمانيين كنوع من الاستفزاز لاستدراج العثمانيين للرد و هو ما انتظره الروس الطامعين فى الانتقام لهزيمة القرم الأولى و التى نتج عنها حرب القرم الثانية عام 1877م التى انتهت بهزيمة الدولة العثمانية التى باتت تعانى من أمراض الشيخوخة و خسرت الكثير من أراضيها لحساب الروس و الإنجليز و الفرنسيين (فلقد تم إعلان استقلال كل من رومانيا و بلغاريا عن السيادة العثمانية عقب تلك الحرب)، كما تم وضع مصر تحت الوصاية العسكرية البريطانية عام

1882م عقب اندلاع الثورة العرابية، إضافة إلى خسارة الدولة العثمانية لحليفها المغربى بالاحتلال الفرنسى عام 1830م.

•كما استغل سادة الفوضى المشاكل التى كان يتعرض لها اليهود الروس ضمن نطاق مشاكل الأقليات فى روسيا للإتجار بالمشكلة اليهودية فى العالم بأسره (وترجع جذور المشكلة اليهودية فى روسيا لحالة العداء بين روسيا و يهود المملكة الخزرية منذ عهد الدولة البيزنطية والتى كانت تشكل جماعات حربية خطرة على الوجود البيزنطى والروسى فى القرن التاسع الميلادى، وعقب نجاح روسيا فى القضاء على المملكة الخزرية فى القرن العاشر الميلادى شكل يهود الخزر عماد الجماعات الوظيفية التجارية فى بلاط دوقية ليتوانيا الكبرى المكونة من بولند وليتوانيا وإمارات أوروبية أخرى، ونتج عن ذلك ثراء غير محدود لهذه الطبقة التى عملت كعادة اليهود بالتجارة غير الشرعية والتهريب ومحاولة التهرب من الضرائب إلخ.. ومع التقسيمات البولونية المتوالية والتى كان آخرها عام 1795م حصلت روسيا على السواد الأعظم من يهود اليديشة البولنديين ضمن حدود رعايها، وبما أن المجتمع الروسى كان يمتهن التجارة بالإضافة للزراعة فقد ظهرت مصادمات مع هذه الطبقة اليهودية التى دأبت على تجميع المال من كل الوسائل وهو ما أدى إلى حفنة من الإجراءات التنظيمية لشئون اليهود داخل المجتمع الروسى لدمجهم داخل المجتمع، ولكن كعادة اليهود الّذين يرفضون الانصياع لتشريعات تتعارض مع يرونه كمصالح فقد زادت

العزلة اليهودية داخل المجتمع الروسى و أصبحت تعاملاتهم ينتابها الكثير من الريبة و الشك خاصة مع ضلوع أطراف يهودية خارجية فى مؤامرات متتابعة لتصفية القياصرة الروس، و قد أدت السياسات القمعية للعديد من القياصرة الروس ضد الأقليات لتعرض يهود اليديشة إلى عدد من المذابح، شأنهم فى ذلك شأن القوميات المسلمة التترية و غيرهم من الأقليات والتى أدت إلى نوع من فيضان الهجرة بين اليهود الروس إلى أنحاء العالم الغربى فبدا أن روسيا تصدر فائضها من المشكلة اليهودية للغرب)، و عند هذه النقطة بدأ سادة الفوضى فى التسويق لمشكلة اليهود العالمية خاصة مع ضلوعهم فى اغتيال ألكسندر الثانى قيصر روسيا و التى أدت إلى عدد من الإجراءات القمعية و المذابح لليهود فى أعوام 1885 و عام 1890م و هجرة أعداد كبيرة منهم العالم الغربى فى فرنسا و ألمانيا و إنجلترا و منها إلى الولايات المتحدة (قُدر عدد المهاجرين بما يقرب من ثلاثة ملايين يهوديًا) و أغلبهم من الطبقات التى اجتمع فيها الفقر بالجشع و أثرت فيها إجراءات القمع فباتوا ميالين للعنف و خرق القوانين (شكل أعداد من هؤلاء المهاجرين عمادات عالم الجريمة المنظمة السفلى فى القرن العشرين)، و نتيجة الحملة الإعلامية التسويقية الضخمة لمشكلاتهم اجتمعت الجهود من أجل وضع النواة لمشروع وطن قومى لليهود بعيدًا يسببون فيه صداعهم بعيدًا عن رؤوس النخبة فى أوروبا، فكان المشروع الصهيونى العالمى الذى تزعمه تيودور هرتزل و تم عقد أول مؤتمر له فى بازل عام

1897م وتم فيه اقتراح عدد من الأماكن لتوطين الجماعة اليهودية الغوغائية (أوهم عوام اليهود الأشكيناز) ومن ضمن هذه الأماكن كانت الأرجنتين وكينيا وحتى صعيد مصر تم اقتراحه (كان قد تم وضع مشروع لإنشاء مستعمرة يهودية فى كوم أمبو فى أواخر القرن التاسع عشر عن طريق عائلات سوارس وقطاوى التى كانت أسست البنك الاهلى المصرى و البنك العقارى المصرى وشركة كوم أومبو للسكر، وتم شراء أكثر من خمسين ألف فدانًا لهذه المهمة ولكن لأسباب غير معلومة توقفت هذه الفكرة)، ولكن كل مسارات النقاش كانت تتجه نحو فلسطين.

•لماذا فلسطين على وجه الخصوص؟ أولا لتاريخ اليهود السابق فيها والذى سيسهل معه تسويق المشكلة دينيًا بين أوساط الصهيونية المسيحية و يخلق معه حلفًا قويًا للمساعدة فى عملية التوطين، كما أن إنشاء كيان صهيونى فى فلسطين سيسهل معه قطع وسائل الوحدة بين أقاليم القلب الأربعة الإسلامية ويعمل كطابور خامس لجمع المعلومات وإثارة المتاعب دوما فى الشرق الغنى لصالح نخب الفوضى، كما أن تصدير مشكلة اليهود إلى منطقة المشرق الإسلامى ستؤمن للنخب الفوضوية فى أوروبا فرصة العمل الهادئ من دون ضغوط شعبية لتثبيت عرشهم فى أوروبا ليصبح العرش المهيمن عالميا.

•عمد سادة الفوضى عقب ذلك إلى محاولة استصدار قرار من السلطان العثمانى بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين عن طريق القيصر الألمانى الذى كان على علاقة ودية مع السلطان العثمانى ولكن قوبلت هذه المقترحات بالرفض القاطع.

•على إثر ذلك تم عقد نوع من الوفاق الودى عام 1904م بين كل من إنجلترا وفرنسا (اللاعبان الأساسيان فى منتخب الفوضى العالمى) لتقاسم المستعمرات عالميا ومن ضمنها تقاسم أملاك الدولة العثمانية وتحديد نطاق الصلاحيات والحدود الإستعمارية فى مستعمرات إفريقيا وآسيا (ساهم فى عقد هذا الاتفاق السلوك العدائى التوسعى الذى انتهجه القيصر فيلهلم الثانى فى سبيل تطوير أمة الرايخ الألمانى عن طريق الدخول فى السباق الإستعمارى وتطوير القوة العسكرية الألمانية وخاصة البحرية وهو ما ألقى مخاوف على إنجلترا من تعرضها لمصير فرنسا عقب الحرب البروسية فسارعت لعقد هذا الاتفاق وهو الاتفاق الذى سيحدد على أساسه قوامات الحروب العالمية).

•عمد سادة الفوضى فى نفس الوقت على إطلاق نظرية ماركس الشيوعية فى قيد التنفيذ والتى كانت قد انتشرت من فرنسا إلى العديد من البلاد الأوروبية عن طريق اليهود الروس (وهو أمر طبيعى فهى فئة عانت من الاضطهاد والقمع والفقر فى ظل سياسات قمعية من القياصرة) وتم على

إثر ذلك تشكيل العديد من الأحزاب الاشتراكية فى كل من فرنسا و سويسرا و أسبانيا و إنجلترا و روسيا القيصرية نفسها، و الأخيرة ظهر منها ناشطون على درجة عالية من الدعم و أهمهم كان لينين و تروتسكى (صاحب نظرية الثورة المستدامة، و هو يهودى روسى كان له الفضل الأكبر فى تشكيل الميلشيات الشيوعية المسلحة فى روسيا، و العمل على خلق جو من الاضطرابات الأمنية الشديدة فى روسيا القيصرية بحلول عام 1905م و الذى كان شرارة أولى الثورات العمالية الروسية، و تم فيه استغلال عنصر القمع الأمنى للمظاهرات السلمية لتحويلها إلى معارك مسلحة أثرت بشكل سلبى على القيصرية الروسية) و كانت هذه الميليشيات المسلحة تتلقى دعمها من يعقوب شيف فى الولايات المتحدة الأمريكية.

•قبل تسديد الضربة الأخيرة عمد سادة الفوضى على بسط سيطرتهم المالية على النظام المالى الأمريكى و الذى توقف بشكل مؤقت فى أعقاب نهاية الحرب الأهلية الأمريكية و قد شرعوا فى ذلك منذ سبعينيات القرن التاسع عشر عن طريق إغراء الشركات الأمريكية المتوسعة فى مشروعات الصناعة لاستجلاب القروض من مصارف سادة الفوضى فى أوروبا و السيطرة عليها عن طريق تلك القروض و تمويل سماسرة الحرب الأهلية و تشجيع ممارساتهم الاحتكارية (و من أشهرهم جيمس دروكفلر مؤسس شركة ستاندرد أوف أويل التى سيطرت سريعا على 90% من إنتاج معامل النفط فى أمريكا) و بعد سلسلة طويلة من المناورات الاقتصادية و التلاعب

فى أسهم البورصة و استغلال تذبذب أسعار الفائدة فى البنوك الخاصة - إضافة إلى قيام بنك إنجلترا الخاضع لسيطرة سادة الفوضى برفع سعر الفائدة على الودائع ما شجع على سحب رؤوس الأموال من السوق- أدّى هذا إلى خلق حالة من الاضطراب الشديد فى السوق المالية الأمريكية عُرفت بالذعر المصرفى عام 1907م ولم تنتهِ حتى تم توقيع اتفاق مع الكونجرس بإجراء تعديل فى الدستور يسمح بإنشاء البنك المركزى الأمريكى والذى تم إخضاعه لسيطرة النخبة المالية لسادة الفوضى تحت زعامة يعقوب شيف الذى بات الملكَ فى وول ستريت تحت زعامة سادة الفوضى فى أوروبا.

•تم فى نفس الوقت تشجيع اليابان التى أصبحت قوة عسكرية مؤثرة فى آسيا على الدخول فى نزاع عسكرى مع روسيا القيصرية عام 1905م على جزر الكوريل المُتنازع عليها وهى المعركة التى انتهت بنصر ساحق لليابان و عززت من الاضطرابات السياسية الثورية للحركة الشيوعية فى روسيا، كما زاد من حدة الاضطرابات بروز فساد طبقة النبلاء الروسية والقصر القيصرى والتى طالت أيضا المؤسسة الكنسية الروسية كنتيجة لأفعال الراهب راسبوتين الإباحية المُشينة فى البلاط الروسى إضافة لتحكمه الشديد فى الإمبراطورة وفى تعيينات المستشارين داخل القصر، وهو ما تم اتخاذه كذريعة لإثبات فساد القصر فى تكرار لسيناريو الثورة الفرنسية (و لكن مع الأسف قليلون هم من يقرأون التاريخ).

•وفى نفس الوقت زادت حدة الاضطرابات الداخلية داخل الدولة العثمانية سواء من الأكراد فى العراق و الّذين دأبوا علاً إثارة المتاعب داخل حدود الأناضول (إما من أنفسهم أو بدعم من الدولة الصفوية الفارسية) وكذا زادت هجمات العصابات الأرمينية و اليونانية على قرى الأتراك فى مجال تلك المناطق، وهو ما دفع السلطان للتفكير مليّا فى استصدار أمر بنقل الأرمن من مواطنهم إلى أماكن بعيدة عن الوجود التركى بحجة اتقاء شرهم (تم تنفيذ هذا الأمر فى أواخر الحرب العالمية الأولى وتم استثماره بعد ذلك لخلق هولوكست أرمينى كوسيلة ضغط سياسى على السلطات التركية مع تجاهل جرائم الأرمن و مذابحهم التى تم إثباتها فى تقرير جاستن مكارثى عضو لجنة تحقيق الكونجرس الأمريكى فى هذه المذابح و التى فاق عدد ضحايا المسلمين الأتراك تقريبا مرة و نصف قدر عدد ضحايا الأرمن).

و مع هذه الأجواء المتوترة عالميا على كل الأصعدة أسدل القرن التاسع عشر ستائره و دخل القرن العشرين مكانه واضعا جهاز التفجير فى يد سادة الفوضى العالميين فى انتظار لحظة البدء لتفجير الألغام السياسية و الفكرية المزروعة على مدار قرنين من الزمان؛ لتحمل معها خرابًا و دمارًا بشريًا و ماديًا لم تعرفه الأرض منذ طوفان نوح و الاكتساح المغولى.

حل القرن العشرون و هو يحمل معه إشارة البدء لعملية تفجير الألغام و الدخول فى مرحلة الصدامات العالمية الدموية لتسيل الدماء أنهارًا على مذابح كهنوت الفوضى و ليصطبغ عرشه بلون الدم.

بسم الله الرحمن الرحيم (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون "41" قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل كان أكثرهم مشركين"42") صدق الله العظيم (سورة الروم) .

****

العالم منذ عام 1914-1945

الانفجار العالمى

مع انتهاء عملية الأصَلَة السامة بات الجو العالمى مشحونًا و متوترًا إلى أقصى حد، و أصبحت الأفكار و النفسيات متجهزة لِلْوُلُوج فى معترك أتون مشتعل من الغضب و التحفز و الأطماع و سوء النوايا و الاستعداد للقتال عند أول بادرة لتفسير الأفعال بشكل سيئ.

و فيما يلى نوجز سريعا مقدمات الأحداث التى سبقت الحرب العالمية الأولى:

-عام 1904م الاتفاق الودى بين بريطانيا العظمى و فرنسا.

-عام 1905م ثورة الاشتراكيين الأولى فى روسيا.

-عام 1905م حرب جزر الكوريل بين روسيا و اليابان و انتهت بفوز اليابان.

-عام 1907م توقيع اتفاقية الوفاق الثلاثى بين كل من روسيا و بريطانيا و فرنسا و ذلك لمواجهة اتفاقية الوفاق المزدوج التى وقعتها ألمانيا و الإمبراطورية النمساوية المجرية عام 1879م.

-عام 1907م الذعر المصرفى الأمريكى، و الموافقة على إنشاء بنك الاحتياطى الفيدرالى.

-عام 1908م الإمبراطورية النمساوية المجرية تحتل البوسنة و الهرسك - من أملاك الدولة العثمانية التى وصلت لدرجة مزرية من الضعف فى ذلك الوقت- و هو ما أغضب المملكة الصربية و التى كانت طامعة فى ضم البوسنة تحت وطأة اشتداد النعرة القومية السلافية فى البلقان.

-عام 1911م الإطاحة بالإمبراطور الصينى و إعلان قيام الجمهورية و دخول الصين معترك حرب أهلية عنيفة بين أمراء الحرب من حكام المقاطعات (ساعد هذا بعد ذلك على اشتداد شوكة المد الشيوعى فى الصين.)

-عام 1912م اندلاع حرب البلقان الأولى بين الدولة العثمانية الضعيفة و اتحاد البلقان بدعم من روسيا القيصرية، و الذى أدى إلى هزيمة الدولة العثمانية و إعلان قيام الدولة الألبانية مع توسع حدود بلغاريا و صربيا و اليونان على حساب الدولة العثمانية و هو ما خلق المزيد من التوتر فى الأجواء بين الإمبراطورية النمساوية و القوميات السلافية و من ثم روسيا و قد عُرفت هذه المنطقة البلقانية فى ذلك الوقت (ببرميل بارود أوروبا).

-عام 1913م اندلعت حرب البلقان الثانية و دامت ثلاثة وثلاثين يوما و أسفرت عن هزيمة بلغاريا أمام صربيا و اليونان و مزيد من التوسع للمملكة الصربية و هو ما أدى إلى ارتفاع طموح الصرب فى تأسيس دولة الصقالبة القديمة (التى تضم القوميات السلافية فى البلقان) و زاد ذلك من هوة التوتر بشكل عنيف بين كل من الصرب و النمساويين خاصة مع مسئولية الصرب عن العديد من عمليات العنف الإرهابية التى وقعت داخل حدود البوسنة و الهرسك من قبل جماعة اليد السوداء الإرهابية و المدعومة من الجيش الصربى.

لم يكن يلزم إذا لاشتعال برميل البارود إلا شرارة صغيرة لإشعال الانفجار المتراكم الذى سيطيح بكافة العروش الأوروبية المتبقية دفعة واحدة، و جاءت الفرصة المناسبة عام 1914م عندما نجحت جماعة اليد السوداء

الصربية فى اغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند ولى عهد النمسا هو وزوجته عندما كان فى زيارة إلى سراييفو.

كان من الممكن أن يمر هذا الحادث كحادث ديبلوماسى عارض؛ حيث ذكرت العديد من الصحف أن النمسا استقبلت الخبر بنوع من الاعتدال و الحكمة فى التعامل كأنها لم تكن تريد الحرب.

ولكن الأمر لا يمكن أن يمر مرور الكرام من تحت يد سادة الفوضى، فتم العمل على إشعال مصادمات كبيرة بين الصرب و البوسنيين من المسلمين مع حدوث عمليات عنف و عنف مضاد أصبح هناك نوع من الانفلات الأمنى داخل سراييفو استتبعته السلطات النمساوية بعمليات قمعية لكلا الفريقين، مع ترحيل عدد من قيادات الصرب إلى خارج البوسنة، و تقديم عريضة متشددة إلى صربيا تحتوى على عشرة مطالب لوقف تحول الأزمة الدبلوماسية إلى صراع عسكرى و مع رفض صربيا لمطلبين من المطالب العشرة أعلنت النمسا الحرب على صربيا.

وبما أن صربيا كانت مدعومة من الروس فقد أعلنت روسيا القيصرية التعبئة الجزئية -على الرغم من اضطراباتها الداخلية العنيفة- و قامت بتوجيه إنذار للنمسا بوقف عدوانها على صربيا و إلا مواجهة الحرب.

وبما أن النمسا كانت على حالة وفاق مع ألمانيا فقد أرسلت الاستغاثة للألمان للوقوف بجانبها ضد روسيا، وهو ما انتهزه الإمبراطور الألمانى التوسعى فيلهم الثانى ورآه كفرصة ممتازة لإظهار ألمانيا كقوة عظمى بين القوى الاستعمارية خاصة أنه كانت هناك خطط عسكرية سابقة مجهزة لحرب على هذا النطاق (وهو إن دل على شيء فيدل على النوايا الفوضوية المبيتة لإشعال الحرب بين عروش أوروبا).

قامت على إثر ذلك ألمانيا بإعلان الحرب على روسيا فى 1 أغسطس عام 1914م.

وكالعادة كانت روسيا طرف فى الوفاق الثلاثى مع إنجلترا وفرنسا فانتهزت فرنسا الفرصة للانتقام لهزيمتها فى عام 1870م وأعلنت دخول الحرب مع روسيا ضد ألمانيا والنمسا.

عند هذه النقطة اشتعل برميل البارود وانفجرت الأحداث وخرجت تماما عن سيطرة العروش الأوروبية وكأن يدًا شيطانية خفية تدفعهم دفعا لرفض أى محاولة للصلح وإلى حتمية الصدام (كان هذا بالطبع ثمرة مجهود أربعة قرون من العمل الفوضوى المتواصل والذى أثمر عن الانفجار العالمى وجلس سادة الفوضى فى ظلالهم الشبحية ينفثون دخان سجائرهم وهم يشاهدون العرض الدموى المميت لصدام الأمم.(

تتابعت الأحداث بدخول بريطانيا إلى جانب فرنسا الحرب و اشتباك ألمانيا مع القوى الروسية و الفرنسية فى نفس الوقت و الذى ظهر معه حجم التفوق التخطيطى العسكرى الألمانى على القوى الأوروبية الأخرى؛ حيث حقق الألمان تقدما ملحوظا على كل العسكريات الفرنسية و الروسية حتى عام 1916م.

<u>الجبهة الروسية:</u>

فى خلال عام 1915م تم توقيع اتفاقية سرية بين فرنسا و بريطانيا بحضور عملاء من البلاشفة الشيوعيين الروس؛ من أجل تقسيم أملاك الدولة العثمانية التى تم الزج بها قسرا فى أتون هذه الحرب -التى لم يكن لها فيها ناقة و لا جمل- عقب إسقاط القيصرية الروسية و تولى البلاشفة سدة الحكم فى روسيا، و عُرف هذا الاتفاق باسم اتفاقية سايكس-بيكو.

هذه الاتفاقية تم توقيعها فى الغالب فى سويسرا (و التى حرص سادة الفوضى على الدوام على حيادها فى كل المعارك لضمان التقاء أطراف المؤامرة من الطرفين فيها) و تم من خلالها تمرير الخلايا الإرهابية الشيوعية المُدربة على يد ليون تروتسكى بتمويل من يعقوب شيف فى نيويورك إلى داخل الأراضى الروسية؛ لخلق المزيد من عمليات الإرهاب، و قطع خطوط السكك الحديدية و الهجوم على المؤسسات لترسيخ الانفلات الأمنى و

الفساد فى حكومة القيصر الروسى؛ لإثارة المزيد من حنق الجماهير الغاضبة أساسًا من هزائم جيوشها المتكررة أمام ألمانيا.

وفى أكتوبر عام 1917م أعلن البلاشفة احتلال المبانى الرئيسية فى موسكو معلنين قيام الثورة الشيوعية الحمراء وألقوا القبض على القيصر و أسرته فى سان بطرسبرج مع عدد من النبلاء الروس، حيث تم إعدام القيصر و أفراد أسرته جميعا بعد ذلك بطريقة وحشية؛ لينجح سادة الفوضى على إثر ذلك فى إسقاط العرش الروسى الرومانوفى.

وفى أعقاب قيام الثورة البلشفية قرر فلاديمير لينين الذى تزعم الحركة الشيوعية توقيع معاهدة سلام مع ألمانيا وسحب الجيوش الروسية من الحرب وهو ما شكل خطرًا على اللعبة الفوضوية العالمية التى أرادت إنهاك الأمة الألمانية لأطول فترة لحين استدعاء العملاق الأمريكى من وراء البحار. (كانت أمريكا حتى ذلك الوقت ملتزمة بمبدأ الانعزالية العالمية عن الشئون الأوروبية الذى رسخه جورج واشنطن فى خطاب وداعه عام 1796م؛ لضمان خصوصية أمريكا) وكان خروج لينين عن السياق الموضوع أمرًا استلزم بعده معاقبته؛ حيث تمت محاولة اغتياله على يد اليهودية الشيوعية فانيا كابلان عام 1918م والتى أصابته بثلاث طلقات أثرت على حالته الصحية وأبعدته عن ممارسة الحياة السياسية حتى وفاته عام 1924م.

****

الجبهة العثمانية:

استغل سادة الفوضى الحرب الجارية والتى تم الزج بالدولة العثمانية فى أتونها (وهى أحد الأهداف الرئيسية لسادة الفوضى) وقاموا بالتعامل معها عن طريق تقسيم الدولة العثمانية إلى ثلاث مناطق استراتيجية:

-الأولى كانت فى شبه الجزيرة العربية عن طريق استغلال النعرة القومية العربية التى تولدت عند أمير مكة "الشريف حسين بن على" جراء النزاع على النفوذ بين الباشوات الأتراك المدعومين من السلطان العثمانى، وبين زعماء القبائل العربية فى شبه جزيرة العرب وقد تم استغلال ذلك عن طريق زرع أحد ضباط المخابرات الإنجليز ويُدعى توماس لورانس (أو لورانس العرب بعد ذلك) فى شبه الجزيرة العربية والذى سعى بعد التأكد من أن النزاع بين أمير مكة والدولة العثمانية هو نزاع قومى بحت من أجل ترسيخ أطماع عربية بحتة فى الجزيرة العربية، وأن الأمر لا يمُتُّ بأى صلة لصحوة إسلامية أو غيرة على الدين -وهو الشيء المفروغ منه؛ فما كان لمسلم أن يستعين على أخ مسلم بعدو غير مسلم لتحقيق أطماع زائلة- فسعى إلى فتح قناة اتصال بين إنجلترا والأمير فيصل بن حسين الذى أبدى استعدادًا كبيرًا للتعاون مع الإنجليز على حساب العثمانيين، فتم دعم قوات الشريف الحسين بالأسلحة الحديثة والتدريب، وأطلقوهم فى حرب داخلية ضد الدولة العثمانية مع تقديم دعم جوى وبحرى لهم مع اقترابهم من حدود الشام والعراق وهو ما خلق اضطرابات شديدة فى الجيوش

العثمانية و أثر كثيرًا على خطوط دعمها لجيوشها فى الجبهة الأوروبية، كما عملوا لطابور خامس للحلفاء ضد الدولة العثمانية (ويا لعار ما فعلوا لو كانوا يعقلون) وقد أسهمت هذه الحركة التى عُرفت بالثورة العربية الكبرى (أو الأفضل تسميتها بالسُبة العربية الكبرى) عام 1916م فى وضع اتفاقية سايكس بيكو فى وضع التنفيذ الكامل الفعلى.

-أما الجانب الثانى فكان فصل مصر بشكل كامل عن قوة الدولة العثمانية عن طريق وضعها تحت الحماية البريطانية، و طرد الخديوى عباس حلمى الثانى الذى كان يعمل على تشجيع الدعوات التحررية لمصطفى كامل من الاستعمار الإنجليزى مع تشجيع الصحوة العلمية مرة ثانية (و التى تعطلت مع الاحتلال عام 1882م) و التقارب مع الدولة العثمانية و مساعدتها. و بتلك الحماية عمل الإنجليز على زرع بذرة انفصال مصر عن طبيعتها الإسلامية و محاولة إدخالها فى قالب النعرة القومية العربية بِناءً على توصيات طوماس لورانس.

-كان المحور الثالث هو هدم الكيان العثمانى من الداخل، وقد تم ذلك عن طريق صناعة شخصية عسكرية خاصة هى شخصية كمال أتاتورك الضابط التركى صاحب الدماء اليهودية (فكثير من المؤرخين يؤكدون على أن أتاتورك من سلالة يهود الدونما المتحولة إلى الإسلام فى سالونيك أحد أقوى مراكز اليهود فى الدولة العثمانية) فقد برز أتاتورك كأحد أبرز أعضاء

جمعية الاتحاد والترقي العلمانية في تركيا، وتم العمل على إبراز أي انتصار تحققه قوات أتاتورك بعيدًا عن أي انتصار يحققه أقرانه في الميادين حتى لو كانت انتصاراته محدودة في ضوء التقدم العسكري القوي للحلفاء ضد العثمانيين فمن جاليبولي إلى الشام إلى البلقان إلى أزمير تم تلميع أتاتورك باستمرار وإبرازه إعلاميًا حتى أضحى بطل تركيا القومي خاصة بعد نجاحه في صد اليونانيين المدعومين من الحلفاء في أزمير (وهو من أعجب ما يكون؛ فالدولة العثمانية بكامل جيوشها لم تنجح في صدهم، فكيف نجح أتاتورك والدولة التركية بكاملها دخلت في الانهيار منذ عام 1918 ولا تملك من القوة إلا النذر اليسير! فكيف ينجح في صدهم؟ وهو لا يُشير إلى شيء إلا إلى أن هناك يد خفية تدعم تقوية شوكته) وهذا ما تحقق في النهاية بنجاح كمال أتاتورك بالإطاحة بالعرش العثماني وإلغاء الخلافة بشكل كامل عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى.

****

الجبهة الأوروبية:

كانت الجبهة الأوروبية هي الأخطر منذ بداية الحرب؛ فالقوة الألمانية كانت تدور بشكل مستمر وسيطرت على أراضي واسعة في أوروبا حتى عام 1916م ومنذ عام 1917م دخلت أوروبا الغربية في حالة ثبات وحرب خنادق واسعة لم ينجح فيها أحد الطرفين في تحقيق الفوز على الطرف

الآخر، ولكن القوة الألمانية للرايخ ظلت محتفظة بوضع عسكرى قوى حتى ذلك الوقت.

ولتحقيق الفوز فى هذه الجبهة دبّر سادة الفوضى مجموعة من الأحداث المتتابعة؛ للعمل على زعزعة الجبهة الداخلية للقوة الألمانية كالتالى:

-أولها كان تدبير إغراق السفينة المدنية الأمريكية لويزيانا بطوربيد ألمانى مع إثارة حملة إعلامية ضخمة داخل الولايات المتحدة لإثارة الرأى العام و دفعه للدخول إلى الحرب وهو ما تحقق فعلا حيث أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا عام 1917م.

-ثانيها كان إخراج النمسا من الحرب عن طريق دخولها فى مفاوضات سرية منفردة مع الحلفاء عقب تعرضها لهزائم شديدة على جبهاتها المختلفة، و الذى أدى بعد ذلك إلى استسلامها فى أوائل عام 1918م -مع أنها هى من جَرَّت ألمانيا فى الأساس إلى الحرب و أشعلت نارها- وهو ما أضعف الدعم الألمانى و الموقف الألمانى على الجبهات بشكل عام ووأدى إلى انهيار قوى المركزية المحورية واحدة تلو الأخرى مع دعم اليابان و إغرائها بالاستيلاء على المستعمرات الألمانية فى المحيط الهادى، وهو ما شكل ضربة قوية للألمان.

-أما ثالثها فكان قيام سادة الفوضى عن طريق آلاتهم الإعلامية بالترويج لهزائم ألمانية وهمية على خطوط الجبهة، وهو ما خلق اضطرابات داخل ألمانيا نفسها إضافة إلى تدبير الحركة الاشتراكية الشيوعية الألمانية لمظاهرات و إضرابات داخل ورش الصيانة البحرية و السكك الحديدية، و هو ما شكل ضربة داخلية قاتلة للألمان و طعنة من الظهر، ولم يعد هناك بد بعد توقف القاعدة الصناعية الألمانية من إعلان ألمانيا استسلامها بتوقيعها لهدنة كومبين عام 1918م مع الحلفاء داخل عربة للسكك الحديدية (و فى تلك العربة تعامل الفرنسيون بمنتهى الصلف و الإهانة مع الألمان و هو ما جعل أحد جنرالات الألمان يقول سنلتقى فى هذه العربة بعد عشرين عاما و قد كان).

و بانتهاء عام 1918م انتهت الحرب العالمية الأولى كأغرب نهاية يمكن توقعها و هو استسلام المنتصر.

كانت هذه الحرب التى عُرفت باسم الحرب العُظمى، أو انفجار عالمى نابع من الألغام التى زرعها سادة الفوضى فى القرون الأربعة السابقة، وكانت نتائجها مُرضية لحد كبير بالنسبة لهم، و هى ما نستطيع إيجازه على النحو التالى:

-أطاحت الحرب العالمية الأولى بعروش النمسا و ألمانيا و روسيا و الدولة العثمانية بضربة واحدة، و حولت اثنتين منها إلى جمهوريات تخضع للنظم

الفكرية لسادة الفوضى (فروسيا تحولت إلى الشيوعية عقب حرب أهلية دامت منذ عام 1918م حتى عام 1921م، وخلفت ورائها ما يقرب من 13 مليون قتيل، وأبرزت الشيوعية للعالم الرأس مالى كعدوٍ صاعد، وإن كان لم يبلغ بعد درجة الخطورة المُقلقة، كما تحولت الدولة العثمانية إلى الجمهورية التركية عقب معاهدة لوزان عام 1921م والتى أكدت على انسلاخ تركيا من عباءتها الإسلامية، ونبذها للمسلمين بشكل كامل مع التأكيد على علمنتها بشكل شامل، وإلغاء كل ما يمكن أن يربطها بالعقيدة الإسلامية من الدستور والمناهج التعليمية وغيره، وهو ما قبله كمال أتاتورك وسعى إلى ترسيخه مع خلفائه طوال العقود التالية حتى بدايات القرن الحادى والعشرين.)

-نجح سادة الفوضى فى إعادة إثارة النعرة العربية على حساب عقيدة الإسلام وصحوة المنهج الإسلامى بدعمهم للثورة العربية الكبرى للشريف حسين والذى عاش طوال سنين تلك الحرب على حلم قيام الدولة العربية الكبرى التى تضم الحجاز والشام والعراق، وقدم فى سبيلها التنازلات و الخيانات بهدف الوصول لحلمه، ولكنه أفاق من هذا الحلم على حقيقة وضع العراق تحت الانتداب البريطانى والذى أقره فيصل ابنه الأكبر و حليف الإنجليز فى مقابل توليه عرش العراق، وتم القضاء على حلم سوريا الكبرى بتقسيمها بين الانتدابين: الإنجليزى الذى حصل على فلسطين و جزء من سوريا، والفرنسى الذى حصل على باقى سوريا ولبنان مع تعزيز

كامل للطوائف المسيحية و الطائفة النصيرية العلوية التى تندرج ضمن الرافضة الباطنية على حساب أهل السنة فى الشام، ولم يبقَ له من حلم الشام إلا تولية ابنه عبد الله لـمُلك منطقة الأردن تحت اسم المملكة الأردنية الهاشمية (و هو الملك الذى سيدعم بعد ذلك المشروع اليهودى فى فلسطين) و شكل كل من الأردن و العراق إضافة إلى تركيا ما عُرف بعد ذلك باسم حلف بغداد فى أربعينيات القرن العشرين .

-مع وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى وكمكافأة على المساعدات المالية و اللوجيستية لليهود فى الحرب نجح سادة الفوضى فى استصدار وعد بلفور عام 1917م بجعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود مع فتح باب الهجرة لليهود المنتشرين فى أنحاء أوروبا (و خاصة اليهود الروس و البولنديين) و الّذين عمدوا إلى الهجرة بدعم من الاتحاد السوفييتى الشيوعى، و الذى أصبح المركز الرئيسى للمد الشيوعى الربيب لسادة الفوضى اليهود.

-أيضا مع حدوث حالة الفراغ الفكرى التى نتجت عن صدمة انهيار الخلافة فى دول المسلمين نشط عملاء الشيوعية فى تأسيس الأحزاب الشيوعية داخل البلاد المسلمة، فتم تأسيس الحزب الشيوعى السورى عام 1919 و المصرى عام 1920 و العراقى عام 1925م و كلها تم تأسيسها على يد مجموعة من المهاجرين اليهود، و الّذين استغلوا حالة الاحتلال للدخول

لعباءة الدول تحت مسمى مقاومة الاستعمار، وشكلوا عنصرًا مساعدًا لتأسيس فروع الوكالة اليهودية داخل الدول العربية والإسلامية.

-وجهت الحرب العالمية الأولى صفعة شديدة لكرامة الأمة الألمانية خاصة مع الشروط المُجحفة التى فرضها الحلفاء على ألمانيا وتحميلها مسئولية الحرب ومطالبتها بدفع تعويضات مالية خُرافية للحلفاء، إضافة إلى استقطاع أقاليم من أراضيها لحساب الدول التى ساهمت مع الحلفاء (ذهب إقليم دانتزيج لبولندا التى أُعيد تشكيلها بعد الحرب، وإقليم السوديت لتشيكسلوفاكيا والألزاس واللورين لفرنسا وغير ذلك) كما تم فرض حظر على تكوين جيش أو امتلاك ألمانيا لأسلحة حديثة ووضعها دومًا تحت الرقابة العسكرية للحلفاء (كل هذه الشروط والتى صاغها عملاء لسادة الفوضى من اليهود وقبلها عملاء آخرين وهى من المفارقات الطريفة؛ إذ تم ذكر أن أحد المفاوضين الفرنسيين كان يهوديًا فرنسيًا، و على الطاولة المقابلة كان يجلس أمامه ابنُ عمه الذي يحمل الجنسية الألمانية؛ وذلك لإحكام الحبال حول رقبة ألمانيا ودفعها دفعًا لانتهاج المسلك المتطرف فى النظرية النازية الموضوعة سلفا فى القرن التاسع عشر ،فحتى هذه اللحظة كانت ألمانيا تسلك فقط مذهب العنجهية والغطرسة ولم تصل بعدُ لمذهب كره العناصر الدونية وهو ما سيظهر فى الحرب العالمية الثانية).

-وبالطبع حقق سادة الفوضى مكاسب مالية ضخمة من القروض التى كانت تمنحها بنوكهم لكافة الأطراف لتمويل التسليح ثم تمويل إعادة إعمار ما دمره السلاح.

-وكما أوردنا سابقا فقد نشأ عن الحرب العالمية الأولى عملية تهجير واسعة النطاق طالت العنصر الأرمنى فى الدولة العثمانية فى محاولة يائسة من الدولة العثمانية لتأمين خطوطها الخلفية بعد تورط الكثير من العصابات المسلحة الأرمينية فى عمليات مذابح وقتل وترويع للأتراك المدنيين داخل القرى الأرمينية والتى وصل عدد ضحاياها إلى ما يزيد عن مليون قتيل تبعا لتقرير جاستن مكارثى للكونجرس الأمريكى، ونظرا لضعف الدولة في تأمين خطوط انتقال هؤلاء المُهجرين، إضافة إلى حدوث تجاوزات من العساكر العثمانيين الموتورين أساسًا من العصابات الأرمينية فقد وقع الكثير من الضحايا فى صفوف الأرمن وبدأ معها ما عُرف بالدياسبورا الأرمينية (الشتات)، على غرار الشتات اليهودى والتى تم توظيفها من سادة الفوضى كورقة ضغط سياسى على عنق تركيا مع تشويه وإخفاء مُتعمد لحقيقة الأمر للتأكيد على أن المسلمين همج و مُتوحشين (سيتم توظيف ذلك فى المواجهة مع الإسلام فى سبعينيات القرن العشرين).

-تعرض العالم العربى و الإسلامى إلى صدمة مُروعة على إثر انهيار الدولة العثمانية التى كانت تُعتبر ولو بشكل رمزى و اسمى الخيط الذى يجمع كل المسلمين معًا فى وحدة واحدة، و هو ما أدى إلى حدوث ما يشبه حالة الضياع الفكرى عند المسلمين و محاولتهم للبحث عن بدائل نشطت معها قوى الفوضى لزرع بدائلهم المشوهة فى بلاد المسلمين تحت مسميات مختلفة من علمانية و ليبرالية و شيوعية و قومية؛ بحيث يتم تقسيم المجتمع إلى أطياف ستعمل على التناحر معًا من أجل هذه الأفكار المتضاربة مع تركهم للأصل الموجود فى أيديهم من الأساس فى خضم حالة الغيبوبة الفكرية بل تم توظيف جماعات مختلفة منهم لمهاجمة فكر الإسلام و منهجيته استنادًا على سلوك الأشخاص تاريخيًا بهدف إضعاف أثره فى النفوس و فى وقت متزامن تقريبًا نشطت مجموعات أخرى فى محاولة للعودة للأصول الإسلامية وهم من عُرفوا بعد ذلك بالأصوليين أو التيار الإسلامى و الذى حاول مد دعوته عن طريق اتباع مذهب المنظومة الدينية الأصيل، و لكن مع الأسف الشديد كان هذا التيار على الرغم من الشعبية التى كان يكونها عجولًا فى قطف ثمار نتائجه و نظر سريعًا إلى السلطة فى مقابل العمل على تربية المجتمع و هو ما سيتجلى فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية.

-وإجمالا نجح سادة الفوضى نسبيًا فى صناعة أعداءً غير مؤثرين عليهم شخصيًا سيتم توظيفهم فيما بعد بينما تم دفن العدو الأصيل لهم تحت ركام الصدمة و أعلنوا بذلك نصرهم على الإسلام (أو هكذا اعتقدوا).

-ونهاية فقد راح فى هذه الحرب و ما تبعها من الحروب الداخلية ما يقرب من 22 مليون إنسانًا تحت وطأة نزوات الغضب و السلطة المجنونة (ولم يكن الإسلام هو من أشعلها يا متهمى الإسلام).

<u>ما بين الحربين (النار تحت الرماد) :</u>

ما بين عامى 1919م و حتى عام 1939م بدأ سادة الفوضى بالإعداد للمرحلة الجديدة من الصدام العالمى و التى نستطيع إيجازها على النحو التالى:

-منذ عام 1918-1921 الحرب الأهلية الروسية و نجاح الشيوعيين البلاشفة فى إحكام سيطرتهم على روسيا و تحويلها للاتحاد السوفيتى و ضحايا تم تقديرهم بحوالى 13 مليون إنسانًا.

-تأسيس جمهورية فايمار عام 1919 م و هى التى ورثت عرش القيصرية الألمانية و عمدت على التركيز على النهوض بالاقتصاد الألمانى و سداد تعويضات الحرب و زيادة الحريات و الحقوق عن طريق دستور متوازن كان يُعتبر من أفضل الدساتير العالمية و قد نجحت هذه الجمهورية فى الوفاء

بالكثير من التزاماتها المالية وكادت أن تنجح فى تسديد كافة ديونها العالمية (وهذا ما رآه سادة الفوضى خطرًا يمكن أن يهدد مشروعهم والذى عمد على إسقاط ألمانيا فى هوة الاضطرابات والعوز لتعزيز سيطرة الجماعات المتطرفة على مقاليدها.(

-تعرضت المملكة الإيطالية لأزمة اقتصادية حادة نتيجة الحرب العالمية الأولى، ولم تكن إيطاليا من الدول التى تلقت منحًا مجزية جراء معاونتها للحلفاء وهو ما أدى إلى دخولها فى حالة من الركود الاقتصادى نشطت معه الخلايا الشيوعية من أجل نشر المذهب الشيوعى بين العمال و تحريضهم على الإضرابات المتكررة. وفى خضم هذه الأجواء المتوترة عمدت السلطة فى إيطاليا إلى استخدام الحركة الفاشية الإيطالية بزعامة بينيتو موسوليني لفض هذه الاعتصامات وإعادة الأمن للبلاد (الفاشية هى نموذج مشابه للنظرية النازية قامت على حلم استعادة المجد الإمبراطورى الرومانى القديم ولجأت للقوة الديكتاتورية لبسط سيطرتها على البلاد بدعوى حفظ الأمن واستعادة النظام)، ومع نجاح موسوليني تمكن من جعل حزبه الأكثر شعبية وتولى رئاسة الوزراء عام 1922م وسط الجماهير التى كانت تئن تحت وطأة الفقر والحلم بالآمال العريضة.

-فى عام 1929م حدث انهيار مفاجئ فى جميع أسهم بورصة نيويورك على إثر إفلاس مجموعة من الشركات الأمريكية نتيجة تكدس البضائع لديها و

التى كان من المفترض تصديرها لأوروبا المنهكة أساسًا من كثرة الديون مع عدم القدرة على الوفاء بالتزامات ديونها للأمريكيين، وهو ما أدى إلى تضخم الأزمة وتحولها إلى أزمة عالمية ضربت كل اقتصاديات العالم بشكل تقريبى ومتزامن (نشتم من هذه الحركة نفس أسلوب الذعر المصرفى الأمريكى عام 1907م والمتسبب فيه سادة الفوضى، ولكن هذه المرة على نطاق واسع مدمر وذلك لا يعنيهم كثيرًا فهم تعودوا على إسقاط وإعادة إحياء الأسواق المالية العالمية وهم مغمضى الأعين، وقد كان الاتحاد السوفيتى بزعامة جوزيف ستالين عاملًا مهمًا فى تنفيذ هذه الأزمة عن طريق إغراقه للأسواق العالمية بمحاصيل الحبوب الروسية بأسعار زهيدة والتى انتزعها بالقوة من المزارعين الروس والتى أدت إلى صدامات دامية راح ضحيتها مئات الآلاف من المزارعين البسطاء وكل ذلك بمساعدة سادة الفوضى). وكان من أشد نتائج هذا الكساد العظيم انهيار اقتصاد جمهورية فايمار الألمانية مع عدم قدرتها على الوفاء بالتزاماتها وهذا عين ما كان ينتظره سادة الفوضى فمع هذه الفوضى المالية والإضطرابات و البطالة أصبحت ألمانيا بيئة خصبة لنمو التيارات المُتطرفة، وحان معها الأوان لبروز نجم النظرية النازية وتحولها من أفكار ورقية إلى واقع فعلى على يد مجموعة من المهاويس بأفكار رايترونيتشة، فأصبح الجو النفسى العام لألمانيا مهيئًا لأى شخص ينادى بالقومية الألمانية وإخراج ألمانيا من كبوتها فكان بروز شخصية هتلر وأعوانه جورنج وهملر وجوبلز وغيرهم

ممن أسسوا الحزب النازى الألمانى و تمكنوا بمساعدة الأموال التى تدفقت عليهم من سادة الفوضى (طبعًا بطرق غير مباشرة) من الوصول بهتلر لكرسى المستشارية الألمانية عام 1933م عقب العديد من العمليات الإرهابية و سياسة الاغتيالات للخصوم السياسيين. (أصبحت سياسة الاغتيالات السياسية هذه موضة سائدة فى عشرينيات و ثلاثينيات القرن العشرين بين الأحزاب السياسية فى أوروبا و قلدهم فيها الوطن العربى فأصبح لكل حزب جناح عسكرى خاص ينفذ أعماله بدعوى الوطنية و الإخلاص فى أوروبا و مكافحة المحتل و الخونة فى الوطن العربى، فكما ظهرت جماعة القمصان السود فى إيطاليا و القمصان البنية و قوات العاصفة و شباب هتلر فى ألمانيا ظهرت كتائب القمصان الزرقاء التابعة لحزب الوفد و تنظيم الحرس الحديدى التابع للقصر الملكى و التنظيم الخاص لجماعة الإخوان المسلمين و ميليشيا الحزب الشيوعى فى مصر و الحرس البعثى الاشتراكى فى العراق و سوريا و غيرهم و عمت على إثر ذلك نشاط عارم لحركة الاغتيالات السياسية لا يُستثنى منها أحد).

-نتيجة الكساد العظيم و انتشار البطالة فقد ازدادت معدلات الجريمة المنظمة و السرقة و اللصوصية و الابتزاز خاصة فى الولايات المتحدة التى أقرت قوانينًا بحظر بيع الخمور و الإتجار بها و المخدرات فى محاولة للتخفيف من تأثيراتها المدمرة اجتماعيا و هو ما زاد من معدلات تهريبها بشكل كبير و برز فى هذا السياق دور الجماعات اليهودية البولندية و

الروسية التى هاجرت و استقرت بأعداد كبيرة فى أحياء نيويورك الفقيرة و شكلت مع العائلات الإيطالية المنتمية فكريًا للمافيا الصقلية الإيطالية مزيجًا مرعبًا من الجريمة و غسيل الأموال، و برز فى هذا دور أحد أبرز زعماء العصابات اليهودية مائير لانسكى الذى ساهم مع صديقه الإيطالى لاكى لوشيانو فى تنظيم العائلات الإجرامية فى أمريكا فى تنظيم مركزى واحد عُرف بالاتحاد القومى للجريمة و عمد إلى تطوير أنشطته من مجرد التهريب و الابتزاز إلى غسيل الأموال و التحول إلى مجال التجارة المربحة و تقنينها و هو ما تفتق عنه ذهن أحد الزعماء اليهود الآخرين و هو بنجامين سيجل الذى قرر تحويل بقعة صحراوية فى ولاية نيفادا إلى أكبر مستنقع للملاهى و المراهنات و القمار فى أمريكا، فكان تأسيس مدينة لاس فيجاس (التى تحولت بعد ذلك إلى مركز رئيسى لدعم الانحلال الخلقى فى الولايات المتحدة).

و فيما يخص العالم الإسلامى و أقاليم القلب الأربعة بشكل خاص فيُلاحظ فى هذه الفترة نشاط شديد لكافة التيارات التغريبية الفكرية فى أقاليم العالم الإسلامى إما بدعم غير مباشر من سلطات الاحتلال و التى حاولت قدر الإمكان إحباط أى محاولة لوصول صحوة على المنهج الإسلامى السليم إلى مرحلة التطبيق، و ذلك بتشجيع أى نشاط ثقافى أو اجتماعى و تنميته مادام ينبذ الإسلام كمنهج (و ظهر ذلك في تشجيعهم لحركات القومية العربية و الليبرالية و العلمنة العربية و حتى الاشتراكية و حركات

تحرير المرأة و دعوات السفور و غير ذلك من الحركات التى انتشرت فى الوطن العربى الإسلامى فى تلك الفترة) و إما قسرًا عن طريق تطبيق هذا المبدأ بالإكراه على سكان البلاد و قمع أى محاولة لإظهاره (كما حدث فى ليبيا مع عمر المختار و فى الجزائر مع حركة الأمير عبد القادر) كما تم تشجيع النزاعات القبلية فى جزيرة العرب بين الدولة السعودية النجدية أنصار الحركة الوهابية القدامى و بين المملكة الحجازية للشريف حسين و ذلك برفع دعمها عنه و إعلامه وقوفها على الحياد فى النزاع (و ذلك المعتاد مع الخونة حين تنتهى الحاجة منهم)، و هو ما دعم النشاط السعودى حتى نجاح الدولة السعودية بقيادة عبد العزيز آل سعود فى توحيد نجد و الحجاز تحت اسم مملكة نجد و الحجاز ثم المملكة العربية السعودية عام 1932م.

كما برزت فى الشام دعوات المناداة بالصحوة الإسلامية ضد كل من الانتدابين الفرنسى و الإنجليزى، و انطلقت صيحات التحذير من وجود مؤامرة يهودية تُدبر لانتزاع فلسطين و بدأ المسلمون فى فلسطين ينتظمون فى مقاومة مسلحة و مصادمات مع اليهود و هو ما أنذر بتعطيل المشروع الصهيونى، و كان لابد من حدث أكبر يُغطى على تلك النداءات .

و على الجانب الأسيوى فقد استغل اليابانيون حالة الكساد العظيم و الانشغال الأوروبى الداخلى لتوسيع نطاق قوتها منذ عام 1915م فبسطت

سلطانها العسكرى على المملكة الكورية وعمدت على التدخل فى شئون الصين الداخلية انطلاقًا من محاولتها إحباط أى محاولة للنهوض الصينى والتى قد تهدد مصالحها فى آسيا كما استغلوا النزاع بين القوميين الصينيين بزعماء شينغ كاى شيك والميليشيا الشيوعية لماوتسى تونج فعمدوا على احتلال الصين عسكريًا بداية باحتلال منشوريا عام 1931م ثم تطوير الأمر لحرب شاملة بدءًا من عام 1937م على كامل الكيان الصينى.

ومع صعود الهتلرى النازى والمد الإمبراطورى اليابانى والفاشية الإيطالية مع كساد مالى عملاق تلبدت سحب العالم بالغيوم مرة ثانية منذرة بالانفجار العالمى الأعنف على الإطلاق منذ أن وطئت أقدام البشر للكرة الأرضية فكانت الحرب العالمية الثانية.

الانفجار العظيم (1939-1945):

طبول الحرب:

مع حلول عام 1933م وفى ظل أزمة مالية طاحنة مُدبرة تعصف باقتصاد العالم برز على سطح المشهد السياسى الألمانى الحزب النازى الهتلرى الذى بدأ حياته فى عباءة الاشتراكيين (كما قلنا فإن النازية والشيوعية متشابهان لحد كبير) ثم تحول لافتراس أعضاء الحزب الشيوعى الألمانى مع تصاعد قوة الحزب ولجوئه للأساليب القمعية العنيفة وسياسة

الاغتيالات فى ظل انشغال عالمى مُتعمد عن مراقبة الوضع فى ألمانيا وبعد سلسلة من الصراعات الداخلية نجح أدولف هتلر فى السيطرة على الرايخ ستاج (البرلمان الألمانى) ونال كرسى المستشارية ومن بعدها انطلقت عجلة النازية تدور بسرعة جنونية.

عكف هتلر على تنفيذ سيناريو النظرية النازية بحذافيرها فى سعى دؤوب لتدمير الحركة الشيوعية الألمانية والجماعات اليهودية الموجودة فى ألمانيا (وهذا بالضبط ما كان يسعى له سادة الفوضى إذ أنه مع العشرينيات كانت معدلات الهجرة اليهودية لفلسطين على غير ما يجب مدفوعة برغبة بعض الجماعات اليهودية فى الاندماج فى مجتمعاتها الحالية ومعارضتها المشروع الصهيونى الاستيطانى إضافة إلى محاولة بريطانيا تقنين أوضاع الهجرة والحد منها لاسترضاء العرب الّذين ساعدوها على الإطاحة بالدولة العثمانية وهو ما عارضه سادة الفوضى فكان لابد من تحريك التفاعل فى اتجاه الخوف والهجرة).

ويورد المؤرخون أن الحركة الصهيونية فى ألمانيا كانت من أولى الحركات المهنئة لهتلر بالوصول للحكم وأنه وقع معهم اتفاقية ترانسفير عام 1935م لنقل وتوطين ما يقرب من ستين ألف يهوديًا إلى فلسطين فى محاولة منه لطرد اليهود من ألمانيا بتشجيع من الصهاينة اليهود أنفسهم.

واستمرارًا لتطبيق سياسة النازية الألمانية سعى هتلر لاسترجاع كافة الأقاليم المُستقطعة من ألمانيا تبعًا لمعاهدة فرساى فأعلن سياسة البدء بإعادة تسليح ألمانيا وامتناع ألمانيا عن دفع التعويضات الخاصة بالحرب الأولى مع مطالبات بضم الأقاليم الألمانية مرة أخرى إلى ألمانيا، (وكل ذلك تحت سمع وبصر انجلترا وفرنسا دون أدنى حراك سياسى وذلك لدفعه للتمادى فى تقوية ألمانيا تبعًا لنظرية خلق العدو لسادة الفوضى).

وبالفعل قام بضم النمسا وإقليم السوديت ثم تشيكوسلوفاكيا بالكامل فى أعوام 1935 و1936م على التوالى وفى نفس العام وقع اتفاقية سرية مع ستالين لتقاسم بولندا (حتى الآن الشيوعية والنازية تسيران فى نفس المسار القمعى) كما وقع اتفاقية الميثاق الثلاثى مع إيطاليا واليابان للتعاون الإقتصادى والعسكرى (والمذهل أنه مع تولى هتلر عام 1933 ظهر فجأة فى نفس العام حل الأزمة المالية فى أمريكا وتم الدفع بأجزاء كبيرة من العمالة للتصنيع مع هجر لمساحات من الأراضى الزراعية لتجهيز قاعدة حربية فى الولايات المتحدة للمعركة المُرتقبة).

وبحلول عام 1939م أعلن هتلر مطالبته لبولندا بإعادة إقليم دانتزيج لألمانيا ومع الرفض البولندى أعلن هتلر الحرب واكتسح بولندا عام 1939 بعد أن كانت استعدادته العسكرية قد تكاملت وكانت هذه اللحظة المُنتظرة لانفجار الأوضاع.

الحرب الحرب الحرب:

منذ أعوام 1939-1941م اندفعت الآلة الحربية الألمانية تكتسح كل معارضيها بسرعة مرعبة محدثة انتصارات مدوية على الحلفاء فابتلعت بولندا وهولندا وبلجيكا والدانمارك والنرويج وفرنسا ووصلت إلى الساحل البريطانى لتضرب عليه حصارًا مميتًا بالغواصات وانتهجت داخل البلاد التى استولت عليها سياسة قمعية وحشية استهدفت كل الأعراق غير الألمانية (وليس اليهود وحدهم) عن طريق معسكرات اعتقال و تعذيب خاصة (والمدهش أن أولى تلك المعسكرات المرعبة والتى تم انشاؤها فى بولندا كانت تحت قيادة مناحم بيجين الصهيونى وأحد رؤساء وزراء الكيان الصهيونى فيما بعد، لتعلم عزيزى القارئ أن من يعذب اليهود كانوا من اليهود أنفسهم وذلك لدفع عجلة الخوف لأقصاها وإجبارهم على الهجرة لفلسطين وهى سياسة كبش المحرقة السابقة الذكر والتى وظفوها إعلاميًا بعد الحرب عن طريق التباكى لدرجة الجرائم العالمية جريمة كراهية اليهود والعرق السامي على الرغم من أنهم ليسوا ساميين من الأساس).

وتحت تأثير الصدمة العسكرية المروعة لجيوش النازى اندفعت أوروبا مرة أخرى إلى أتون الحرب المُستعرة وكأن أوروبا وحدها غير كافية فقام اليابانيون أنفسهم بالهجوم على بيرل هاربور عام 1941 مدمرين الأسطول السابع الأمريكى واكتسحوا بعدها آسيا بالكامل محققين سيطرة شبه

كاملة على حوض المحيط الهادى الشرقى وهو ما دفع أمريكا للدخول فى الحرب بكامل طاقتها الصناعية والعسكرية (وهو ما تم التجهيز له خلال الأزمة المالية العالمية).

وحتى عام 1941 كان الروس مساندين بشكل سرى لهتلر إذ أنهم تقاسموا بولندا ورومانيا، ودخلوا فى معارك للسيطرة على موانئ فنلندا انتهازًا لفرصة انشغال الحلفاء بالحرب ضد هتلر (تعاظم القوة الشيوعية لمرحلة العدو المقلق).

وحتى هذه المرحلة بدت النازية عدو مستعصى على الهزيمة فكيف سيتحكم سادة الفوضى فى عملية التدمير؟ (هذه أخطر المراحل فى عملية صناعة العدو الخارج عن السيطرة).

<u>تم العمل على التدمير على ثلاث مراحل:</u>

-أولها: القيام بتأمين الغطاء الذهبى للحلفاء من أجل عمليات الإمداد بالأسلحة (لكل شيء ثمن) وتم ذلك عن طريق أكبر عملية نقل لاحتياطات الذهب الخاصة بالدول الأوروبية ونفائسها فى قوافل بحرية من أوروبا إلى كندا بحجة حفظها بعيدًا عن أيدى النازى ومن كندا تم نقل هذه النفائس وتوزيعها بين خزائن نيويورك وقلعة فورت نوكس فى تكساس ليصبح سادة الفوضى أكبر متحكم فى الاحتياطات الذهبية على مستوى العالم

(أكبر عملية نصب فى التاريخ ودائع ذهبية بقيمة تزيد عن ستمائة مليار دولار).

-الثانية: كان باستدراج ألمانيا للصدام مع السوفيت فى سيناريو مشابه للحرب النابليونية و ابتلع هتلر المغرور الطعم لهاجم و بقوة فى أراضى شاسعة قاسية المناخ لتتشتت جهود قواته فى الوقت الذى دارت فيه آلة الحرب السوفيتية بعنف مع تلقيها مساعدات من جارتها الأمريكية عبر المحيط الهادى و تنقلب الدائرة بدءا من خريف عام 1943م مع تحقيق انتصارات مدوية للسوفيت بأعدادهم الغفيرة على الألمان ليبدأ الإنكفاء الألمانى العسكرى فى الشرق فى نفس الوقت الذى دارت فيه عجلة الحلفاء الحربية لتطحن القوات الألمانية فى الغرب إضافة إى تحقيق انتصارت كبيرة على اليابان فى المحيط الهادى.

-اعتمد سادة الفوضى على الكثير من العناصر الإجرامية للمافيا فى أوروبا من أجل إمداد الحلفاء بالمعلومات الكافية لعمليات الإنزال فى أوروبا و البحر المتوسط (برز هنا التعاون بين السلطة و المال و الجريمة لتحقيق منافع مُشتركة و هو التعاون الذى لايزال قائما حتى اليوم).

بالتأكيد لم ينس سادة الفوضى من استغلال العناصر الصهيونية نفسها التى كانت تساعد هتلر لتوظيفها فى الحرب ضده عن طريق انشاء الفيلق اليهودى فى الجيش البريطانى المحارب فى الشرق الأوسط و أفريقيا و ذلك

للمطالبة بالثمن الذى هو فلسطين عقب انتهاء الحرب (نفس هذا الفيلق كان المحرك الرئيسى لعصابات الصهاينة المُسلحة التى تسببت فى مجازر ضد العرب فى فلسطين بهدف تهجيرهم من أرضهم و السيطرة عليها قبل انتهاء مدة الانتداب البريطانى).

و مع انقلاب ميزان القوى فى الحرب العالمية الثانية منذ عام 1943م و تحقيق الحلفاء للنصر تلو الآخر إضافة إلى تقدم السوفيت بشكل مرعب إلى الحدود الألمانية مكتسحين أمامهم أى أمل لنصر أو دعم ألمانى إضافة لسحق القوات الأمريكية لليابانيين و بلوغهم حدود اليابان تم العمل على دك كلا البلدين بشكل كامل و تدميرهما بشكل يُنهى معه أى أمل فى قلوبهم للنهوض كقوة عظمى مرة ثانية.

ولم تستطع ألمانيا مجاراة كل هذا الضرب المرعب فاستسلمت فى أوائل عام 1945م و بينما كانت حليفتها اليابانية تتجهز للاستسلام فاجأ الرئيس الأمريكى هارى ترومان (و الذى كان مؤيدًا شديدًا لمبدأ الصهيونية المسيحية) العالم بإلقائه قنبلتين نوويتين على هيروشيما و نجازاكى لمجرد استعراض قوة المارد الأمريكى الجديد و ليوجه سادة الفوضى رسالة إلى كل أمم العالم عن طريق أعوانها (من يريد أن يرفع رأسه بالعصيان فليستعد لملاقاة مصير ألمانيا و اليابان).

وتم إسدال الستار على هذه الحرب المُروعة التى خلفت وراءها ما يزيد عن سبعين مليون قتيلًا ودمرت البنية التحتية لأوروبا بالكامل.

ورفع سادة الفوضى كؤوسهم المليئة بالدم ليشربوا نخب النصر العالمى الجديد.

ترتب على الحرب العالمية الثانية مجموعة مهمة من النتائج تمثلت فيما يلى:

-مع نهاية الحرب العالمية انتهى دور انجلترا وفرنسا كقوى عظمى فى هذا العالم بعد أن استنزف سادة الفوضى كامل قدرات هذين البلدين خلال ثلاثة قرون مستمرة من المعارك والمؤامرات والأفكار الفوضوية فى العالم كله وصدر القرار بإحالتهم إلى الصفوف الاحتياطية مع تقديم المولودين الجديدين الّذين وُلدوا فى أحضان سادة الفوضى وعلى مناهجهم المنحرفة (أمريكا المركز الرئيسى للصهيونية المسيحية والمتبنية للفكر الرأسمالى لسادة الفوضى وتحتوى على الكثير من ثرواتهم ومراكز نفوذهم، والاتحاد السوفيتى العملاق الشيوعى المتوحش الذى أضحى المركز القومى لنشر الاضطرابات والفوضى الأممية فى العالم مع احتفاظه بديكتاتورية قمعية شديدة القوة فى روسيا).

-تم تركيع الأمتين الألمانية واليابانية بأكملها وليس مجرد السلطات الحاكمة فقط أمام القوة الجديدة لسادة الفوضى، وتم تطويق رقابهم

بكلابات عنيفة من السيطرة الرأسمالية فى الغرب والشيوعية فى الشرق (ووضح ذلك فى عملية اقتسام برلين بين الطرفين والتى امتدت لتقسيم ألمانيا إلى شرقية شيوعية وغربية رأسمالية).

-أصابت الحربان العالمية الأولى والثانية جموعًا كثيرة من البشر بحالة من الصدمة الشديدة؛ إذ أنهم استفاقوا على خسارة ما يزيد عن مائة مليون إنسانًا وتدمير مدنًا ودولًا بكامل بنيتها التحتية وتشريد مئات الملايين الآخرين وهذه الصدمة ساعدت بعد ذلك على بروز فكرة الفلسفة الوجودية بقوة والغاية من وجود الإنسان واعتقاد الكثيرين بعبثية الخلق وهو ما عزز خطط الفوضويين بنشر وتقوية موجة الإلحاد المادى داخل جموع البشر، انطلاقا من مبدأين أساسيين ارتكز عليهما الإلحاد وهو مبدأ الشرور والآلام المنتشرة فى الأرض (بمعنى إذا كان هناك إله خير فلماذا يسمح بكل تلك الشرور؟) ومبدأ القدرة الكلية للإله(بمعنى إذا كان قادرًا فعلًا فلماذا لا يمنع قوى الشر؟) مع قيام جناحه الإعلامى بالعمل على التأكيد على أن الشرور إنما هى نابعة من الديانات التى فرقت البشر (مع أن الحربين الأخيرتين بالذات قامتا على مبادئ مادية وإلحادية صرفة لم يكن للدين أى عامل فيها) كما دفعت هذه الفكرة الكثيرين إلى الارتماء فى أحضان الملذات والانحلالات الخلقية بشكل يفوق الوصف وخاصة فى ستينيات القرن العشرين.

-انتهت هذه الحرب على اتفاق القوى الموجودة (والتى أصبحت جميعها بشكل تقريبى خاضعة لسيادة زعماء الفوضى) على إنشاء منظمة أممية موحدة يكون على عاتقها تسيير أمور العالم وحل نزاعاته دون الوصول لحافة الحرب العالمية مرة ثانية (عرش واحد يحكم كل العروش) وتم تشكيل الأمم المتحدة عام 1945م مع تشكيل مراكزها المختلفة فى نيويورك وسويسرا وفرنسا وهولندا (وهى المراكز المختلفة لسادة الفوضى منذ القرن السادس عشر) وذلك تحت إشراف المركز الإنجليزى العتيق.

-مع انتهاء الحرب كانت قوة المد الشيوعى فى أوروبا فى أوج قوته مع انهيار تام فى قوة الدول الأوروبية، وهو مازاد من قوة الخلايا الشيوعية فى أوروبا وكان نجاح هذا التمدد كفيل بخروج العملاق الشيوعى عن السيطرة الفوضوية وهذا لم يكن مطلوبًا وعليه سارعت الولايات المتحدة بتقديم مشروع مارشال لإعادة إعمار دول أوروبا وتنميتها فى مواجهة الشيوعيين (وهى بذلك تكون قد خلقت من دول أوروبا أتباعًا خاضعين لسلطان أمريكا الخاضعة بدورها لسلطان سادة الفوضى) وتم البدء فى تنفيذه منذ عام 1947م وبدأ معه تحديد نطاق السيطرة الخاصة بكل قطب الرأسمالى والشيوعى كل على حدا (أصبح العالم كله منقسمًا فكريًا بين هاتين القوتين بسور حديدى لم يمتد فقط ليقسم برلين لشرقية وغربية بل امتد ليقسم أرجاء العالم بشكل كامل.

-نتيجة الانهاك المالى الذى أصاب القوى الاستعمارية القديمة أصبحت تكاليف حماية المستعمرات أمرًا مكلفًا و مرهقًا و هو ما سرع من وتيرة تفتيت الدول الاستعمارية إلى وحدات صغيرة هى الدول المحررة منذ عام 1946م و التى حرص المستعمرون منذ انسحابهم على زرع ألغام الفوضى على هيئة نزاعات الحدود بين الدول المختلفة؛ للحرص على عدم توحدهم فى كيانات تقلب الموازين لغير صالح مشروع الفوضى العالمى كما حرصوا على إخضاع الكيانات المُحررة لديكتاتوريات سلطوية بهدف إبقاء تلك الكيانات باستمرار فى حالة شديدة من الفقر و العوز و التجهيل الفكرى.

-و تكلل نجاح سادة الفوضى العالمى بإكمال المشروع الصهيونى فى فلسطين عام 1948.

و مع نهاية الأربعينيات كان سادة الفوضى قد قطعوا تقريبًا نصف الطريق نحو السيطرة التامة على كامل الأمم العالمية و بدأوا يستعدون لمرحلة القضاء على وليدهم الأثير الشيوعية، فيما ظهرت مرحلة الحرب الباردة أو ما عُرفت بالسور الحديدى.

****

إن فهم مرحلة الستار الحديدى حتى عام 1973 يمكن تلخيصها عن طريق المخطط التالى:

تم تقسيم العالم من بعد الحرب العالمية الثانية إلى أربعة نطاقات أو ملاعب رئيسية كانت مسارح النزاعات بين العالم الرأسمالى و العالم الشيوعى برعاية و تخطيط سادة الفوضى الشبحيين و يمكن تقسيمها كالتالى:

-الملعب الأوروبى:

تم تقسيم الملعب الأوروبى إلى كتلتين: أوروبا الغربية التى شكلت عماد دول الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية و التى استقبلت معونات مشروع مارشال و قواعد الأمريكيين العسكرية و أسست معًا حلف الناتو لمواجهة المد الشيوعى السوفيتى، و على الجانب الآخر كانت أوروبا الشرقية التى رزحت تحت السيطرة العسكرية السوفيتية و كونت تكتلا عُرف بحلف وارسو انضمت له كل الدول التابعة للاتحاد السوفيتى و تم تقسيم الحدود بينهما بناءً على تقسيم برلين التى أصبحت رمزًا لتقسيم العالم.

-الملعب الآسيوى:

تزعمت فيه الصين الشيوعية الحليف الأكبر للسوفيت مسئولية نشر الشيوعية فى آسيا كما تأرجحت فيه الهند قربًا و بعدًا حسب المصلحة (و إن ظلت علاقاتها قوية بإنجلترا) إضافة إلى كوريا الشمالية و فيتنام

الشمالية المتنازعتان مع جاراتهما الجنوبيتين بهدف توحيد الحدود، (و بالتأكيد نشر المد الشيوعى فيهما) وهذه النزاعات التى تسببت فى قيام الحرب الكورية عام 1950م-1953م وحرب فيتنام التى امتدت منذ عام 1956-1972م وكانت من أشد المعارك بين الشيوعية والرأسمالية.

-الملعب اللاتينى:

منذ أواخر القرن التاسع عشر (وتحديدًا منذ نهاية الحرب الأهلية الأمريكية) مثلت أمريكا اللاتينية العمق الاستراتيجى للولايات المتحدة وهو ما خلق لدى الولايات المتحدة نوعًا من الهوس إزاء أى اضطراب فكرى أو سياسى يمكن أن يحدث داخل عمقها الجنوبى (فذكريات أمريكا مع أطماع المكسيك القديمة، ومحاولات التوغل الفرنسى الجنوبى إبان الحرب الأهلية يبدو أنها ظلت عالقة فى الأذهان)، وعلى ذلك فقد عملت الولايات المتحدة منذ بدايات القرن العشرين على توطيد سلطتها داخل هذه الأقاليم التى كانت تعتمد عليها بشكل شبه كامل فيما يتعلق بالنواحى التجارية والتعليمية والسياسية وحتى العسكرية أحيانًا (كانت أمريكا حتى بدايات العقد الخامس من القرن العشرين تسيطر على جمهوريات أمريكا الوسطى وبنما وحتى كوبا بشكل شبه عسكرى) كما كان لأمريكا محاولات للتدخل فى الشأن الكولومبى منذ قيام حركة سيمون بوليفار التحررية عام 1823م (وفى ذلك كله كان سادة الفوضى يمرحون فى هذا الملعب كيفما شاءوا، وكانت لهم مراكز مالية قوية تحتكر المواد الأولية من تبغ ومطاط و

أقطان وحبوب وذهب على طول الخط اللاتينى)، ولأن المصلحة تقتضى خلق تهديد مباشر للولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية والعمل على الزج بكل ثقلها فى الصراعات العالمية فقد عمد سادة الفوضى على استغلال حالة الخلاف التى سادت بين أعضاء الاتحاد الكولومبى منذ وفاة سيمون بوليفار وعمدوا على تحويل الخلافات إلى حروب أهلية منهكة مع وجود نخب مالية من بقايا الطبقة البورجوازية الأسبانية القديمة ما سمح للمد الشيوعى بالوصول إلى قلب أمريكا اللاتينية، ونجح فعلا فى تكوين مراكز خاصة له فى كوبا عام 1956م بانقلاب فيدل كاسترو وتشى جيفارا الذى طاف بالقارة داعيًا إلى الأفكار الشيوعية، بل وذهب أبعد من ذلك فى دعمه للحركات الماركسية داخل القارة الأفريقية التى رآها البيئة الأمثل لنشر الأفكار الماركسية حتى تم إعدامه فى بوليفيا عام 1967م بعد أن تسبب بصداع مزمن للرأسمالية الأمريكية.

كانت أمريكا اللاتينية مسرحًا لإحدى أشد الأزمات خلال الحرب الباردة و التى قاربت على التحول إلى حرب نووية عندما نجح السوفيت فى نشر مجموعة من الصواريخ النووية قبالة الساحل الأمريكى فى كوبا ردًا على إقامة أمريكا لقاعدة عسكرية فى تركيا (التى اعتبرها السوفيت ملعبهم الخلفى) وكانت فرصة أرادها سادة الفوضى لإدخال العالم فى أتون الحرب من جديد إلا أن تمكن جون كينيدى من نزع فتيل الأزمة فوت عليهم الفرصة (وكان كينيدى قد بدأ يشكل عامل مضايقات شديد لسادة

الفوضى نتيجة سياساته المعتدلة عالميًا و محاولته توفيق الأوضاع مع السوفيت إضافة لمحاولاته خلق سياسة معتدلة إزاء المشكلة الفلسطينية فى الشرق الأوسط، و خلق توجه أكثر حزمًا تجاه الصهاينة إضافة إلى طامته الكبرى و هو محاولة انتزاعه السيطرة على النظام النقدى الأمريكى من يد سادة الفوضى فى وول ستريت و وضعها فى يد الحكومة الأمريكية، فكان القرار بتصفيته جسديًا و الذى تم تنفيذه عام 1963م و الذى لايزال العديد من المؤرخين يحاولون إيجاد المتورطين الحقيقين وراء مقتل كينيدى و الذى تفرق دمه بين المباحث الفيدرالية و المخابرات الأمريكية و أعضاء فى الكونجرس فى جريمة حملت ملامح كبيرة من جريمة اغتيال يوليوس قيصر فى روما القديمة، و لقد ذكر أحد الصحافيين الأمريكيين فى إحدى كتاباته أن بمقتل كينيدى فقدت أمريكا وجهها الإنسانى إلى الأبد، و قد كان مصيبًا لحد كبير فكل الرؤساء الّذين خلفوا كينيدى عمدوا على الطاعة بشكل كبير لسادة الفوضى).

و قد استغل سادة الفوضى الملعب اللاتينى لحد كبير كمفرخة للأعمال القذرة فى الولايات المتحدة و أمريكا اللاتينية و تصفية أى شخصية يمكن أن تنادى بإصلاحات فعلية و تم إغراق أمريكا الجنوبية فى الجريمة و المخدرات و تجارة الأسلحة عن طريق كارتيلات المخدرات الكولومبية و الكوبية الخاضعة التى كانت تمول حركات التمرد المستمر فى أمريكا الجنوبية، و كانت تتلقى الدعم و التمويل من الوكالة الصهيونية و الاتحاد

السوفيتى (حتى أنهم كانوا يقومون بعمليات التهريب إلى المياه الأمريكية باستخدام غواصات روسية) وقد ساهمت أنشطتهم بشكل كبير فى دعم المافيا الأمريكية التى تشعبت أنشطتها لغسيل أموالهم عن طريق مؤسسات الجماعات اليهودية التجارية والمالية فى نيويورك وسويسرا و أوروبا (تأمل جيدًا عزيزى القارئ هذه السطور لتعلم كيف تنشأ العديد من الشركات بين ليلة وضحاها).

-معسكر الشرق الأوسط:

من المغرب العربى وحتى الهند ومن تركيا وحتى الحبشة مثل الشرق الأوسط نطاق عمليات واسع فى غاية الأهمية لسادة الفوضى، فهذا الملعب يحتوى فى وسط شعوبه على العدو الأكثر خطورة على مشروع الفوضى العالمى وهو الإسلام كمنهج وعقيدة قابلة للتحول مع أول بادرة دعم إلى مشروع نظام فولاذى قادر على سحق قوى الفوضى خاصة وأن نطاق انتشاره يتميز بتنوع الموارد والثروات والإمكانيات (خاصة مع الاكتشافات البترولية العملاقة فى الخليج والعراق وإيران وشمال أفريقيا مع ثلاثينيات القرن العشرين إضافة إلى تحكمه فى أحد أهم شرايين التجارة العالمية وهى قناة السويس التى تحولت لها الكثير من تجارة رأس الرجاء الصالح عقب إنشائها وغير ذلك من ثروات الأرض) إضافة لتمتعه بكثافة سكانية ضخمة ونمو بشرى مضطرد يمكن فى حالة توظيفه بشكل صحيح إحداث انقلاب مرعب فى موازين القوى.

لهذا عمد سادة الفوضى كما ذكرنا سابقًا على تدمير أى رابط يربط أبناء هذا النطاق ببعضه و الذى بدأ منذ القدم بالفتنة الكبرى ثم تطور مع مشروع الفوضى لتدمير أى رمز يرمز لوحدة الإسلام فكان تدمير الدولة العثمانية رمز الخلافة الأخير مع السعى لتقوية التيارات المناوئة للفكر الإسلامى و التى تأثرت سلبًا مع الأسف بالتقدم الأوروبى الاقتصادى و العسكرى و التقنى (و لو نظروا لحروب الأوروبيين بنظرة تأمل لما فكروا لحظة فى اتباعهم) فقاموا بتعزيزها و تشجيعها داخل البلاد الإسلامية و تشجيع نمو النظم القمعية السلطوية داخل نطاق الشرق الأوسط استنادًا لفكرة أن الإسلام لو وجد بيئة رأى حر للنمو فيها فكريًا فستكون الغلبة فى النهاية له استنادًا للوقائع التاريخية (و بما أن النظام الليبرالى الحر قد يشجع و لو بشكل نسبى على نمو الإسلام بالشكل الخطر فإن نظام حر فى الشرق الأوسط كان أمرًا غير مقبول و كان ذلك واضحًا بشكل جلى فى كل من مصر و الجزائر و سوريا التى نمت فيها بشدة الدعوات الإسلامية الإصلاحية فى فترة الانفتاح السياسى الملكى فى أواخر الثلاثينات حتى أواخر الأربعينات) لذا كان العلاج الأنجح هو إخضاع المنهج الإسلامى لسلطات قمعية عنيفة تعمل على محاصرة أنصار دعوته و تضعهم تحت ضغوط تعذيبية نفسية و جسدية مُروعة، و هذا الأسلوب القمعى نفسيًا سيؤدى لخلق جماعات متطرفة نفسيًا و فكريًا يمكن لسادة الفوضى توظيفها لاحقًا فى أى صراع مُحتمل مع هذا العدو المُراوغ (و هذا أيضا استنادًا

لنظرية القمع وعلاقتها بالانحراف السلوكى وسادة الفوضى من أكثر الناس معايشة لها على مدار التاريخ من عهد الفراعنة والبابليين والرومان إلى محاكم التفتيش والاضطهاد الكنسى فهم منحرفون حتى النخاع).

وعلى صعيد آخر تقرر تشجيع زرع الكيان السرطانى الصهيونى داخل الشرق الأوسط؛ ليقوم بمهمات سادة الفوضى القذرة فى زعزعة الأمن و الاستقرار داخل الشرق الأوسط وليعمل كحلقة وصل مع منظمات العالم السفلى الإجرامية فى كافة أنحاء العالم لنشر السموم والأفكار الهدامة داخل مجتمعات الشرق الأوسط عن طريق تجنيده لضعاف النفوس داخل مجتمعات الشرق الأوسط وإطلاقهم داخل مجتمعاتهم ليسقطوها من الداخل.

بدأت مراحل التلاعب داخل ملعب الشرق الأوسط كما ذكرنا سابقًا عقب نهاية الحرب العالمية الأولى بتأسيس الأحزاب الشيوعية كل من مصر و سوريا والعراق إضافة إلى إغراء قبائل الحجاز لخيانة الدولة العثمانية و نتيجة تلك الخيانة تم تنفيذ سايكس بيكو على الوجه الأمثل.

أعقب ذلك تأسيس الجامعة العربية كتعزيز لفكرة النعرة القومية العربية على حساب الهوية الإسلامية إضافة لإبعاد تركيا عن المشهد الإسلامى تبعًا لاتفاقية لوزان عام 1922م، وبذلك تم سلخ أقاليم القلب الأربعة عن قضايا الأمة الإسلامية خارج نطاق الوطن العربى.

ثم كان إعلان قيام الكيان الصهيونى عام 1948م كتحقيق لفكرة خلق منفى قومى لليهود اليديشة بعيدًا عن مشاكل أوروبا (وكانت أولى دول العالم اعترافًا بهذا الكيان هى الاتحاد السوفيتى بينما كان رؤوس السلطة هما اليهوديان الشيوعيان حاييم وايزمان وديفيد بن جوريون، وذلك يجعلنا نتبين حجم التقارب بين الاتحاد السوفيتى والكيان الصهيونى وما كانت عملية إدعاء دعم الاتحاد السوفيتى بعد ذلك للأنظمة الاشتراكية العربية إلا جزءًا من عملية التمويه على العلاقة بين الشيوعيين والصهاينة وترسيخًا لفكرة خلق العدو بين النظم الرأسمالية والنظم الاشتراكية فى الشرق الأوسط)

ومع هزيمة القوات العربية عام 1948م أمام الكيان الصهيونى (والذى لعبت الخيانة فيه دورًا رئيسيًا عن طريق الحاشية اليهودية المتمركزة فى القصر الملكى المصرى والذى كانت رئيسته زوجة زعيم الطائفة اليهودية فى مصر ورئيس الوكالة اليهودية فى نفس الوقت والتى كانت على اضطلاع بكل أسرار الدولة إضافة إلى تعاون عبدالله بن الشريف حسين مع الدولة الجديدة وقبوله لقرار تقسيم فلسطين-فى استمرار لمسلسل خيانة هذه الأسرة لقضايا الأمة- إضافة إلى تخاذل أخيه فيصل بن الحسين ملك العراق فى إرسال قواته)، عزز ذلك المناخ العام بالغضب من الأنظمة الملكية فى الشرق الأوسط- ربما باستثناء المملكة العربية السعودية التى كانت ما تزال ناشئة فى ذلك الوقت وأظهرت دعمًا دبلومآسيًا للقضية

الفلسطينية-إضافة إلى معاناة هذه الدول وخاصة مصر والعراق من أزمات اقتصادية كتوابع للأزمة المالية العالمية فى العشرينات وهو ما أدى إلى تكرار سيناريو الثورة الفرنسية فى مصر والإطاحة بالملكية فيها على أمل إقامة نظام دستورى ديموقراطى (والذى انتهى سريعًا بالإطاحة بمحمد نجيب عقب مؤامرات عمالية مشبوهة للسكك الحديدية عام 1954م، تم ذكر تورط النظام الناصرى فيها فى مذكرات عدد من ضباط مجلس قيادة الثورة كما تم تعطيل دستور 1954م أحد أفضل دساتير مصر وتدبير الاعتداء على عبد الرزاق باشا السنهورى رئيس مجلس الدولة فى ذلك الوقت والقيام بحملة لتشويه سمعته وهو القاضى الجليل إضافة إلى تدبير فضيحة لقضاة المحاكم الشرعية فيما عُرف تاريخيًا باسم مذبحة القضاة وتم على إثرها إلغاء المحاكم الشرعية كل ذلك من أجل ترسيخ حكم الاشتراكيين القوميين الّذين ما لبثوا أن داروا فى فلك الاتحاد السوفيتى وطبقوا الفاشية العسكرية فى البلاد وأدخلوها فى حالة مروعة من الركود والفساد والمحسوبية مع العمل على تفكيك رأس المال الوطنى بدعوى مكافحة الإقطاع على الرغم من أن كثير من الإقطاع المصريين ثبتت مجهوداتهم فى مقاومة الاحتلال، إضافة إلى مغامرات عسكرية متهورة كما حدث فى حرب اليمن والتى أنهكت خزانة البلاد المالية). ومثلما حدث فى مصر تم تدبير انقلاب عسكرى اشتراكى فى الجزائر عام 1963م، وانقلاب آخر فى العراق عام 1958م وآخر فى سوريا قام به البعثيون المنتمون إلى

طائفة الشيعة الباطنية بزعامة حافظ الأسد عام 1963م والّذين كانوا من أشد المساعدين للشيوعية فى الشرق الأوسط هذا إضافة إلى حكم إيران السلطوى العلمانى ومثيلة الأتاتوركى فى تركيا، إضافة إلى قمع الأقليات المسلمة فى الهند والصين والاتحاد السوفيتى نفسه.

وداخل سجون هذه الأنظمة تفنن القائمون عليها فى إذاقة معارضى النظم صنوفًا مختلفة من العذابات، ومن داخل تلك السجون تم إعادة إنبات بذرة التيارات التكفيرية الدينية (التى كانت قد اندثرت بشكل كبير فى عهد دولة الخلافة)، فنتيجة القمع انحرف فكر المُعذبين إلى تكفير كل أعضاء المجتمع استنادًا إلى اتخاذ المجتمع عن نصرتهم ضد الظلمة وظلت بذرة التكفير تنمو داخل معتقلات الأنظمة حتى نكسة عام 1967م(هذا التفسير البسيط لشرح لماذا ومن أين انتشر فكر التكفير المتشدد داخل مجتمعاتنا؟).

كانت النتيجة الطبيعية لسياسات الجعجعة الفارغة للاشتراكيين القوميين فى الشرق الأوسط مع ترسيخ لثقافة السلطة وزيادة معدلات الفساد ومراكز القوى المختلفة مع إهمال النهضة التعليمية وإرهاق الخزائن بمغامرات عسكرية غير ذات جدوى مع قمع غير محدود للآراء الحرة من كل الاتجاهات، كل ذلك كانت عوامل ساعدت فى تعرض العرب فى الشرق الأوسط لصفعة هى الأشد منذ سقوط الدولة العثمانية هى

نكسة 1967م والتى نجحت فيها دولة الكيان الصهيونى بامتياز فى انتزاع سيناء وهضبة الجولان وكامل أرض فلسطين بما فيها القدس فى ستة أيام فقط من أربع دول عربية هى مصر وسوريا والأردن وفلسطين تحت سمع وبصر باقى الدول العربية دون أن تتمكن إحداها من تقديم المساعدة و كانت هذه الهزيمة زلزالًا هز كيان الشرق الأوسط بعنف وأحيا لدى سادة الفوضى الحلم التلمودى القديم بدولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات (لعب النظام البعثى السورى دورًا كبيرًا فى هذه النكسة؛ حيث إن أخبارهم الكاذبة عن حشود اليهود على حدود الجولان وضغطهم على مصر لحشد قواتها أظهر أن مصر هى البادئة بالعدوان ما وفر الغطاء الدولى لضربات الصهاينة العسكرية بعد ذلك كما أن النظام البعثى عمد إلى خلق حالة من البلبلة العسكرية داخل الجيش السورى وإجباره على القيام بتحركات عسكرية عبثية مع تنفيذ انسحابات غير منظمة، إضافة إلى إذاعته نبأ سقوط الجولان قبل حدوثه بيومين كاملين على لسان وزير الدفاع آن ذاك حافظ الأسد وهو ما سهل عملية الاحتلال).

أحدثت هذه النكسة نوعًا من الفوران داخل رواقات الشرق الأوسط استغرقت ما يربو على ثلاث سنوات بين الشعوب دول المواجهة أو أقاليم القلب الأربعة لاستيعاب أسباب النكسة ومحاولة تغييرها ويبدو أنه للمرة الأولى منذ وقت طويل تعمل عقول المسلمين فى اتجاه التصحيح واستعادة نظام المبادرة والعمل بجد وتنظيم بداية من عام 1970م؛ لاستطلاع

مقدرة هذا العدو الرابض أمامهم و من يقفون خلفه بشكل علمى معيارى مدروس و الدخول معه فى صدامات محدودة لاستنزاف قواه و محاربته نفسيًا فيما عُرف بمرحلة حرب الاستنزاف مع تنظيم الجبهة الداخلية بشكل يتيح للمواطنين استنشاق نسائم الحرية للمرة الأولى منذ وقت طويل و مع الحرية و التصحيح تأتى القوة، فكان التجهيز للخطة المصرية العبقرية لتحرير الأرض تحت مسمى المآذن العالية (و أعتقد أن سبب تسميتها بهذا الاسم فى إشارة لتردد صدى الله أكبر فى أرجاء السماوات و هو ما عكس التوجه نحو البحث عن معيار الإله السليم إلى حد ما، مع تجهيز الجبهة الداخلية تحت شعار نعم نستطيع) .

و مع دخول بدايات عام 1973م كان سادة الفوضى على موعد مع مفاجأة غير متوقعة.

****

العالم منذ عام 1973 حتى الآن

لابد من سحق الإسلام

فى يوم السادس من أكتوبر عام 1973م صدرت أوامر القيادة المشتركة المصرية و السورية لتنفيذ هجوم مزدوج على القوات الصهيونية فى كل من سيناء و الجولان بهدف إخراجه من الأراضى التى احتلها عام 1967م.

كان عماد قوة هذا الهجوم هما الجيشين المصرى و السورى بينما شاركت كل من الجزائر و المغرب و ليبيا و العراق بمجموعات أخرى من القوات تنوعت بين قوات جوية و مدرعة بهدف تقديم العون للجيشين المصرى و السورى.

و فى نفس الوقت أعلن الملك فيصل ملك السعودية رحمه الله قرارها بقطع كل إمدادات النفط لكل دول أوروبا و أمريكا التى ستساهم فى إمداد الكيان الصهيونى بأى أسلحة بغرض محاصرته و القضاء عليه مع قيادتها حملة دبلوماسية واسعة داخل العالم الغربى لكسب الدعم للمجهود الحربى العربى (و هو بالتأكيد أمرًا كان محكومًا عليه بالفشل، و لكنها كانت محاولة على الأقل).

كانت المرحلة الأولى من التنفيذ ممتازة إلى حد مذهل و نجحت فيها القوات العربية فى تحقيق تقدمات ملموسة على العدو الصهيونى فى كل من سيناء و الجولان حتى يوم العاشر من أكتوبر و استطاعت مصر السيطرة على عمق ما يقرب من خمسة عشرة كيلومترًا داخل سيناء تحت مظلة حماية دفاعها الجوى الثابت فى الضفة الغربية لقناة السويس كما نجحت القوات السورية و العربية فى سوريا فى التقدم كثيرًا داخل الجولان و كان من المنتظر أن تقوم بتطوير هجومها سريعًا لقطع إمدادات مياه نهر الليطانى عن اليهود.

ولكن مع دخول اليوم الحادى عشر حدثت تغيرات غير مفهومة فى مسار المعارك على الجبهة السورية تحديدًا إذ أنه كان من المفترض تقدم الوحدات المدرعة السورية لتنفيذ عملية التطوير فى ظل الارتباك والهلع الذى ساد الجيش الصهيونى مع خسائره الكبيرة فى المرحلة الأولى، ولكن ما حدث أن التطوير لم يحدث حتى استعادت القوات الصهيونية توازنها و نجحت فى توجيه هجمات مضادة بالمدرعات والطيران ضد القوات العربية فى ظل غياب متعمد للطيران السورى عن سماء المعركة على الرغم من تنفيذه ضربات قوية فى بدايات الحرب، وهو ما أدى لتعرض القوات العربية لخسائر كبيرة من الطيران الصهيونى (كان أوضحها ما حدث فى جبل الشيخ الذى كان النقطة المفصلية لعملية التطوير الذى تُركت فيه القوات المغربية بدون دعم جوى بعد نجاحها فى السيطرة عليه ما أدى إلى مقتل العشرات من الكتيبة المدرعة الجزائرية وتوقف التطوير).

وفى سيناريو مشابه لما حدث فى النكسة استغاث النظام السورى الأسدى بمصر للقيام بتطوير الهجوم على الجبهة المصرية لتخفيف الضغط على سوريا فى ظل أوامره المتعمدة بسحب القوات السورية من الجولان و الانكفاء للداخل بحجة الهجمات المضادة الصهيونية ولولا بسالة اللواء المدرع العراقى فى الدفاع عن دمشق لسقطت هى الأخرى فى يد الصهاينة.

وكان تطوير الهجوم المصرى فى ظل تفوق جوى نسبى للمقاتلات الصهيونية المتقدمة تكنولوجيًا مغامرة عسكرية خرقاء أدت إلى خسائر جسيمة فى القوة البرية وأعطت الصهاينة فرصة موازنة الأمر فى سيناء(ويا ليت السادات استمع لرأى قادته العسكريين قبل اتخاذ هذه القرارات الخاطئة) حتى فك الاشتباك الأول عام 1974م (كانت أمريكا تمدها بأحدث مقاتلات فى ترسانتها حتى قبل أن تُستخدم فى الجيش الأمريكى حتى فى حين كانت كل أسلحة السوفيت دفاعية بحتة مع تلكؤ تام فى إمداد مصر بالقوة الجوية الهجومية مثل ميج-23 التى حتى مع وجودها تم اشتراط تشغيلها بواسطة طيارين روس، وتم توقفها عقب طرد الخبراء السوفيت إضافة لعدم إمداد مصر ببطاريات الدفاع الجوى المتحركة أو الثابتة ذات المدى الطويل التى تمكن مصر من التطوير بنجاح) (من هذه الصورة يتضح لنا الدور الذى لعبه التعاون بين الصهاينة والروس ونظم الاشتراكيين القوميين فى إحباط ما كان يمكن أن يكون صحوة قوية لدول الإسلام أمام النظام الفوضوى العالمى وهذه رسالة لمن يقولون أن النظام السورى كان من أنظمة الممانعة والمقاومة للاحتلال) وصدق أحد العلماء فى هذه الفترة إذ قال لقد نصركم الله بقدر إيمانكم ولو كان إيمانكم أقوى لكان النصر أعظم.

على الرغم من أن حرب عام 1973م لم تنتهِ كما يشتهى المسلمون إلا أنها قرعت ناقوس خطر قوى بالنسبة لسادة الفوضى فمنذ سقوط الدولة

العثمانية عقب الحرب العالمية الأولى و الانكفاء الشديد لحركات الدعوة الإسلامية طوال الثلث الأول من القرن العشرين اعتبر سادة الفوضى أن الإسلام الذى هو بمثابة الرابط الوحيد الذى يمكن أن يربط أواصر الشرق الأوسط قد دخل فى حالة غيبوبة مميتة و تراجعت أهمية ملاحظتهم لخطورته نتيجة لاطمئنانهم التام بمحاصرته بواسطة النظم السلطوية المنتشرة فى كل بلاد المسلمين، ولكن الحرب و ما صاحبها من ارتفاع لمستوى الدعوة الإيمانية داخل الدول حتى لقد كادت تصل مع وقت الحرب لحملة جهادية مقدسة إضافة إلى ظهور حكام من العرب يبدون و لو قدر من الاهتمام باتباع المعايير الإلهية و التفكر و الأخذ بأسباب النصر كل ذلك جعلهم يُصابون بالهلع الشديد.

فإذا كانت هذه الهزة قد حدثت نتيجة اتباع جزئي لسياسة المعيار الإلهى فماذا ممكن أن يحدث لو تضافرت هذه القوى تحت راية النظام مرة ثانية؟ إذن فهذا العدو المُراوغ مازال قادرًا على المقاومة و النهوض.. و بشدة.

من هذا المنطلق كان لابد من اتخاذ القرار برفع درجة الاستعداد الفوضوى لمواجهة العدو الإسلامى و رفع درجة خطورته لفوق مستوى الشيوعية، و عليه صدر القرار أنه لابد من سحق الإسلام ولكن كيف؟

لمواجهة منهج الإسلام اعتمد سادة الفوضى على مزج مشروعهم الفوضوى الحديث بأحقاد التاريخ القديمة فى منطقة الشرق الأوسط

لإنبات أفعى فوضوية من نوع جديد مخصوصة لمنطقة الشرق الأوسط على النحو التالى:

-أولا: تأمين موارد الثروات النفطية فى الخليج عن طريق ثلاث مراحل:

•تصفية الملك فيصل المسئول الأول عن قطع الإمدادات النفطية عن أوروبا و أمريكا لإزاحته من الصورة و قد تم ذلك عام 1975م على يد أحد أعضاء أسرته الملكية.

•تغذية المخاوف على المصالح الخليجية عن طريق تأجيج الحقد المذهبى القديم بين السنة و الشيعة و فى سبيل ذلك تمت التضحية بحكومة شاه إيران محمد رضا بهلوى العلمانية على الرغم من كل مجهوداتها فى خدمة سادة الفوضى و تعاملاتها مع العدو الصهيونى، و إمداد أوروبا بالنفط و ذلك لمصلحة خلق العدو الشيعى الأكثر تشددًا، و هى ثورة ولاية الفقيه الإيرانية الشيعية و التى تم تصويرها أيضا كعدو للنظام الحر بعد تدبير حادث الاعتداء على السفارة الأمريكية فى أحداث الثورة و استدراجها العراق لحرب دامت ثمانية سنوات هى حرب الخليج الأولى منذ عام 1980-1988م مع اضطهاد مستمر للسنة فى إيران فى مقابل منح اليهود كافة الحريات و الحقوق (ويورد البعض تعاملات اقتصادية و سياسية و عسكرية سرية تمت بين نظام المشد الإيرانى و الكيان الصهيونى، لعبت فيه المعابد اليهودية الإيرانية دورًا بارزا كحلقة إتصال).

•أعقب ذلك استدراج الجيش العراقى لغزو الكويت عام 1990م فيما عرف بحرب الخليج الثانية، وهو الأمر الذى خلق نزاع سنى و استتبع ارتماء حكام الخليج فى أحضان الولايات المتحدة و التى أدت لتدمير العراق اقتصاديًا و عسكريًا فى عملية عاصفة الصحراء مع خلق حالة من الشكوك المستمرة وفقدان الثقة بين الأنظمة العربية حتى اليوم.

-ثانيا: كان عزل مصر عن المحيط العربى ففكرة القومية العربية التى أوصى بها طوماس لورانس ظهربها جانب سلبى خطير إذ يمكن استخدامها كتكتل لخدمة المنهج الإسلامى إذا تم توظيفها بشكل سليم ولهذا عمد سادة الفوضى على الآتى:

•أولا: الترويج لمنطق أن مصر خانت القضية الفلسطينية بتوقيعها اتفاق وقف إطلاق النار (الذى سبق كامب ديفيد بحوالى خمس سنوات) مع العمل على مقاطعتها عربيًا مع أن وجهة نظر السادات كانت فى القيام بالتفاوض ككتلة عربية موحدة ما قد يؤدى إلى نتائج أفضل من التفاوض بشكل منفرد، ولكن المقاطعة العربية أدت إلى سقوط مصر فريسة لشروط كامب ديفيد بهدف استعادة الأرض المسلوبة.

•من أجل ضمان مصر فى فلك الشروط القاسية لكامب ديفيد وعدم محاولة السادات تعديلها تقرر تصفية السادات شخصيًا للتخلص من احتمالية خروجه عن السيطرة وتم تنفيذ العملية عن طريق جماعة من

ضباط الجيش والمخابرات المحسوبين على التيارات التكفيرية المتشددة (علامة استفهام).

•نتيجة الحروب المتواصلة التى أنهكت ميزانية مصر منذ عهد جمال عبد الناصر فقد خضعت مصر لقبول قروض دولية بحجة إعادة الإعمار للبنية التحتية (والبنوك الدولية ما هى إلا بنوك سادة الفوضى) وبذلك تم إخضاع النظام المالى المصرى لديون ذات فوائد باهظة مازالت ترهق الاقتصاد المصرى حتى اليوم مع زيادتها المستمرة والتى فاقت ألف مليار جنيهًا مصريًا بين دين داخلى وخارجى.

•العمل على الترويج لمبدأ الأمة المصرية إعلاميًا عن طريق العملاء الداخليين لعزل مصر بشكل كامل عن القضايا العربية والإسلامية وحتى الأفريقية مع انكفاء مصر على مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية ما أدى لتراجع دورها الخارجى بشكل كبير.

•ارهاق الشعب المصرى بالفساد الإدارى والقمع الأمنى والتسطيح التعليمى بهدف كسر أى صحوة معيارية داخل الشعب.

-على الجانب الشامى تم العمل على إبقاء السلطة القمعية السورية مع تشجيع على إشعال النزاعات الطائفية فى الشام تارة بين السنة والشيعة، وتارة بين المسلمين والمسيحيين وكانت لبنان هى البيئة المناسبة لإشعال

نيران هذه الفتن و التى أصبحت ملعبًا شارك فيه الإيرانيون و السوريون بدعمهم لحركتى أمل و حزب الله و الكيان الصهيونى بدعمه لحزب الكتائب و ميليشيات أنطوان لحد المسيحية فيما عرف بالحرب الأهلية اللبنانية إضافة إلى قمع أى حركة إصلاحية إسلامية داخل سوريا، و التى كان من أبرز أحداثها مجزرة حماة التى وقعت عام 1982م و راح ضحيتها حوالى أربعين ألف مدنيًا ظلمًا.

-تم استقطاب الجماعات الإسلامية الخارجة من المعتقلات فى أوائل السبعينيات إضافة إلى تنامى حركة الرغبة فى الجهاد ضد العدو الشيوعى فى توجيه المئات و الآلاف من عناصر هذه الجماعات التى كانت تعانى القمع فى بلادها إلى مواجهة عسكرية مع السوفيت فى أفغانستان و قامت الولايات المتحدة فى هذه المرحلة بالتظاهر بالتعاون مع الحركات الإسلامية و دعمها بالمال و السلاح بغرض منع السيطرة الشيوعية على آسيا الوسطى المهمة و هى ما كانت فترة تفريخ مهمة للعناصر المتشددة عقب انتهاء الغزو السوفيتى عام 1985م و وجدت هذه العناصر نفسها بدون هدف واضح فانطلقت لتصفية حسابات قديمة مع مجتمعاتها التى اعتبروها متخاذلة.

-و على الجانب الثقافى و الفكرى سعى سادة الفوضى لتجهيز الرأى العام الغربى لمرحلة العداوة المقبلة مع الإسلام عن طريق زيادة نشر مطبوعات المستشرقين المعادين للإسلام و القيام بحملات إعلامية خاصة بهدف

تشـويه صـورة الإسـلام و مذهبـه عـن طريـق الترويج لأحـداث العنـف و الاضطرابات التى تحدث فى الشرق الأوسط مع التركيز على الجوانب السلبى منهـا صحفيًا و إعلاميًـا، مـا يهيئ الـرأى العـام فى العـالم الغربى لمواجهـة الإسلام على أنه النسخة الجديدة من الشيوعية العنيفة و ساهم على ذلك بعـض دعـاوى الشـيوعيين فى الإدعـاء بـأن الاشـتراكية و الشـيوعية مولـودة من الإسلام و أن محمد صلى الله عليه و سلم هو إمام الاشتراكيين، إضافة إلى محاولة سادة الفوضى لإعادة بعث الروح الصليبية خاصة فى تيارات المسـيحية الصـهيونية، و بـذلك تكـون الحـرب على الإسـلام حربًـا ذات محـورين الأول نـزاع بين الفكـر العلمـانى بمعنـاه الشـامل الـداعى لفصـل المعـاملات عـن المنظومـة الأخلاقيـة فى مواجهـة الفكـر المعيـارى الإسـلامى الـداعى للتمسـك بالأصـول مـع التطـوير و التحـديث داخـل نطـاق منظومـة الأخلاق و الضمير، و المحور الثانى نزاع دينى بحت بين عقيدة الإسلام كدين و عقائد الأديان الأخرى سماوية كانت أو أرضية، مع الحرص على التأكيد أن الإسـلام هـو أصـل كل شـرور الأرض و أصـل أعمـال العنـف ليـتم ربـط الإسلام و منهجه بأى عمل إرهابى منذ بداية عقد التسعينيات.

-و مع دخول عام 1990م تم تسديد الرصاصة القاتلة للنظام الشيوعى بعد 73 عامًـا مـن الديكتاتوريـة السـلطوية بسياسـات جرباتشـوف الخاصـة بالقيـام بفـك الارتبـاط الاقتصـادى بـين جمهوريـات الاتحـاد السـوفيتى و محاولة اتباع الاقتصاد الحر، و هو ما أدى إلى اضطرابات شديدة أعقبها

انهيار متسلسل فى النظام الشيوعى وانتهاء حقبة الاتحاد السوفيتى، ليقف جورج بوش الأب فى الكونجرس ويعلن (قضينا على الشيوعية وبقى الإسلام).

ولا يزال الصراع مستمرًا..

obeikandl.com